

(ذلك بأن الله هو الحق) الى قوله سبحانه (وأن الله هو العلي الكبير) فيه إشارة الى أنه سبحانه تمام وفوق التمام ، والمراد بالأول من حصل له كل ما جاز له واليه الإشارة بقوله تعالى : (هو الحق) والمراد بالثاني من حصل له ذلك وحصل لما عداه ما جاز له واليه الإشارة بقوله تعالى : (هو العلي الكبير) ووراء هذين الشيتين ناقص وهو ما ليس له ما ينبغي كالصبي والمريض والاعمى ومكتف وهو من أعطى ما تندفع به حاجته في وقته كالإنسان الذي له من الآلات ما تندفع به حاجته في وقته لكنها في معرض التحلل والزوال (إن الله عنده علم الساعة) الآية ذكر غير واحد حكايات عن الاولياء متضمنة لإطلاع الله تعالى اياهم على ما عدا علم الساعة من الخس وقد علمت الكلام في ذلك ، وأغرب ما رأيت ما ذكره الشعرا في عن بعضهم أنه كان يبيع المطر فيطر على أرض من يشتري منه متى شاء ، ومن له عقل مستقيم لا يقبل مثل هذه الحكاية ، وكما للقصاص أمثالها من رواية نساء الله تعالى أن يحفظنا واياكم من اعتقاد خرافات لا أصل لها وهو سبحانه ولي العصمة والتوفيق .

﴿ سورة السجدة ٣٢ ﴾

وتسمى المضاجع أيضا كما في الاتقان ، وفي مجمع البيان انها كما تسمى سورة السجدة تسمى سجدة لقمان لثلاث تلتبس بحم السجدة ، وأطاق القول بمكيتهاء ، أخرج ابن الضريس : وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس انها نزلت بمكة ، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله ، وجاء في رواية أخرى عن الخبر استثناء ، أخرج النحاس عنه رضي الله تعالى عنه أنه قال : نزلت سورة السجدة بمكة سوى ثلاث آيات (أفن كان مؤمنا) الى تمام الآيات الثلاث ، وروى مثله عن مجاهد . والكلي ، واستثنى بعضهم أيضا آيتين أخريين وهما قوله تعالى : (تتجافى جنوبهم) الخ ، واستدل عليه ببعض الروايات في سبب النزول وستطلع على ذلك إن شاء الله تعالى واستبعد استثنائهما لشدة ارتباطهما بما قبلهما ، وهى تسع وعشرون آية في البصري وثلاثون في الباقية ، ووجه مناسبتها لما قبلها اشتغال كل على دلائل الألوهية ، وفي البحر لما ذكر سبحانه فيها قبل دلائل التوحيد وهو الاصل الأول ثم ذكر جل وعلا المعاد وهو الاصل الثاني وختم جل شأنه به السورة ذكر تعالى في بدء هذه السورة الاصل الثالث وهو البوة . وقال الجلال السيوطي في وجه الاتصال بما قبلها : إنها شرح لمفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة ما قبل ، فقوله تعالى : (ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) شرح قوله تعالى : (إن الله عنده علم الساعة) ولذلك ذهب بقوله سبحانه : (عالم الغيب والشهادة) وقوله تعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز) شرح قوله سبحانه : (وينزل الغيث) وقوله تبارك وتعالى : (الذي أحسن كل شئ خلقه) الآيات شرح قوله جل جلاله : (ويعلم ما في الارحام) وقوله عز وجل : يدبر الامر من السماء الى الأرض . ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) شرح قوله تعالى : (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) وقوله جل وعلا : (أنذا ضللتنا في الأرض) الى قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) شرح قوله سبحانه : (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) اه ، ولا يخلو عن نظر ، وجاء في فضلها أخبار كثيرة ، أخرج أبو عبيد . وابن الضريس من مرسل المسيب بن رافع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « تجيء ألم تنزيل . وفي رواية . ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها وتقول : لا سبيل عليه لا سبيل عليه . »

وأخرج الدارمي . والترمذي . وابن مردويه عن طاوس قال : ألم السجدة . وتبارك الذي يده الملك تفضلان

على كل سورة في القرآن بستين حسنة، وفي رواية عن ابن عمر تفضلان ستين درجة على غيرهما من سور القرآن • وأخرج أبو عبيد في فضائله • وأحمد • وعبد بن حميد • والدارمي • والترمذي • والنسائي • والحاكم وصححه • وابن مردويه عن جابر قال: «كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك» وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال: «قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ تبارك الذي بيده الملك والم تنزيل السجدة بين المغرب والعشاء الآخرة فكأنما قام ليلة القدر •

وروى نحوه هو • والثعلبي • والواحدى من حديث أبي بن كعب، والثعلبي دونهم من حديث ابن عباس، وتعقب ذلك الشيخ ولي الدين قائلًا: لم أقف عليه وهذه الروايات كلها موضوعة، لكن رأيت في الدر المشور أن الخرائطي أخرج في مكارم الاخلاق من طريق حاتم بن محمد عن طاوس أنه قال: ما على الأرض رجل يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك في ليلة الا كتب له مثل اجر ليلة القدر، قال حاتم: فذكرت ذلك لعطاء فقال: صدق طاوس والله ما تركته منذ سمعت بهن إلا أن أكون مريضاً، ولم أقف على ما قيل في هذا الخبر صحة وضعفاً ووضعاً، وفيه أخبار كثيرة في فضلها غير هذا الله تعالى أعلم بحالها، وكان عليه الصلاة والسلام يقرأها (وهل أتى) في صلاة فجر الجمعة وهو مشعر بفضلها والحديث في ذلك صحيح لا مقال فيه •

أخرج ابن أبي شيبة • والبخاري • ومسلم • والنسائي • وابن ماجه عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان، وأخرج أبو داود • وهؤلاء الا البخاري نحوه عن ابن عباس •

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم ١﴾ ان جعل اسما للسورة أو القرآن فحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هذا الم، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ خبر بعد خبر على انه مصدر باق على معناه لقصد المبالغة أو بتقدير مضاف أو هو مؤل باسم المفعول أى منزل وإضافته الى الكتاب من اضافة الصفة الى الموصوف أو بانية بمعنى من، وقوله سبحانه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر ثالث، وقوله تعالى: ﴿مَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ خبر رابع، وجوز أن يكون (الم) مبتدأ وما بعده أخبار له أى المسمى بالم الكتاب المنزل لا ريب فيه كائن من رب العالمين، وتعقب بأن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذا لعهد بالنسبة قبل فتحها الاخبار بها • وقال أبو البقاء: (الم) يجوز أن يكون مبتدأ أو (تنزيل) بمعنى منزل خبره هو (لا ريب فيه) حال من (الكتاب) والعامل فيها المضاف وهى حال مؤكدة و(من رب) متعلق بتنزيل، ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف هو حال من الضمير المجرور فى (فيه) والعامل فيها الظرف (لا ريب) لأنه هنا مبنى وفيه ما سمعت، وهذا التعلق يجوز أيضاً على تقدير أن يكون (الم) خبر مبتدأ محذوف وما بعده أخباراً لذلك المحذوف، وان جعل (الم) مسروداً على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب، وفي اعراب ما بعد عدة أوجه، قال أبو البقاء: يجوز أن يكون (تنزيل) مبتدأ أو (لا ريب فيه) الخبر و(من رب) حال كما تقدم، ولا يجوز على هذا أن يتعلق بتنزيل لأن المصدر قد أخبر عنه، ويجوز أن يكون الخبر (من رب) و(لا ريب) حالا من (الكتاب) وأن يكون خبراً بعد خبر انتهى •

ووجه منع التعلق بالمصدر بعد ما أخبر عنه أنه عامل ضعيف فلا يتعدى عمله لما بعد الخبر وعن التزام حديث التوسع في الظرف سعة هنا أو ان المتعلق من تمامه والاسم لا يخبر عنه قبل تمامه، وجوز ابن عطية

تعلق (من رب) برب وفيه أنه بعيد عن المعنى المقصود ، وجوز الحوفي كون (تنزيل) خبر مبتدا محذوف أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب ، وقال أبو حيان: الذى اختاره أن يكون (تنزيل) مبتداً (ولا ريب فيه) اعتراض لا محل له من الاعراب و(من رب العالمين) الخبر وضمير «فيه» راجع لمضمون الجملة أعنى كونه منزلاً من رب العالمين لا للتنزيل ولا للكتاب كأنه قيل: لا ريب فى ذلك أى فى كونه منزلاً من رب العالمين وهذا ما اعتمد عليه الزمخشري وذكر انه الوجه ويشهد لوجاهته قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ فان قولهم هذا مفترى انكار لأن يكون من رب العالمين أى قالان نسب أن يكون نفى الريب عما أنكره وهو كونه من رب العالمين جل شأنه ، وقيل: أى فلا بد من أن يكون موده حكماً مقصوداً بالافادة لا قيده للحكم بنفى الريب عنه ، وفيه بحث ، وكذا قوله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فانه تقرير لما قبله فيكون مثله فى الشهادة ثم قال فى نظم الكلام على ذلك: إنه أسلوب صحيح معكم أثبت سبحانه أولاً أن تنزيله من رب العالمين وان ذلك بما لا ريب فيه أى لا مدخل للريب فى أنه تنزيل الله تعالى وهو أبعد شئ منه لأن نافي الريب وبمحيطه معه لا ينفك أصلاً عنه وهو كونه معجزاً للبشر ، ثم أضرب جل وعلا عن ذلك الى قوله تعالى: «أم يقولون افتراه» لأن «أم» هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكاراً لقولهم وتعجباً منه لظهور عجز بلغائهم عن مثل أقصر سورة منه فهو اما قول متعنت مكابر أو جاهل عميت منه النواظر ، ثم أضرب سبحانه عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ، وفى الكشف أن الزمخشري بين وجاهة كون (تنزيل الكتاب) مبتداً و(لا ريب فيه) اعتراضاً و(من رب العالمين) خبراً بحسن موقع الاعتراض إذ ذاك ثم حسن الانكار على الزاعم انه مفترى مع وجود نافي الريب وبمحيطه ثم اثبات ما هو المقصود وعدم الالتفات الى شغب هؤلاء المكابرة بعد التاخيص البليغ بقوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وما فى إثارة لفظ (الحق) وتعريفه تعريف الجنس من الحسن ، ويقرّب عندى من هذا الوجه جعل (تنزيل) مبتداً وجملة (لا ريب فيه) فى موضع الحال من (الكتاب) و(من رب) خبر افتدبر ولا تغفل ، وزعم أبو عبيدة أن (أم) بمعنى بل الاتقالية وقال: ان هذا خروج من حديث الى حديث وليس بشئ • والظاهر أن (من ربك) فى موضع الحال أى تأتينا من ربك ، وقيل: يجوز جعله خبراً ثانياً وإضافة الرب الى العالمين أولاً ثم الى ضمير سيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم ثانياً بعد ما فيه من حسن التخلص الى اثبات النبوة وتكظيم شأنه علا شأنه فيه انه عليه الصلاة والسلام العبد الجامع الذى جمع فيه ما فرّق فى العالم بالاسرء ووروده على أسلوب الترقى دل على ان جمعيته صلى الله تعالى عليه وسلم أتم بما لكل العالم وحق له ذلك صلوات الله تعالى وسلامه عليه ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بيان للمقصود من تنزيله فقبل هو متعلق بتنزيل ، وقيل: بمحذوف أى أنزله لتنذر الخ ، وقيل: بما تعلق به (من ربك) (وقوما) مفعول أول لتنذر والمفعول الثانى محذوف أى العقاب و(ما) نافية كما هو الظاهر و(من) الاولى صلة (ونذير) فاعل (أتاهم) ويطلق على الرسول وهو المشهور وعلى ما يعمه والعالم الذى ينذر عنه عز وجل قيل : وهو المراد هنا كما فى قوله تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) •

وجوز أن يكون النذير هنا مصدراً بمعنى الانذار و(من قبلك) أى من قبل انذارك أو من قبل زمانك متعلق بأتى والجملة فى موضع الصفة لقوما ، والمراد بهم قريش على ما ذهب اليه غير واحد ، قال فى الكشف: الظاهر

أنه لم يبعث اليهم رسول منهم قبل رسول الله ﷺ وكانوا ملزمين بشرائع الرسل من قبل وإن كانوا مقصرين في البحث عنها لاسيما دين ابراهيم . واسماعيل عليهما السلام إن قلنا: إن دعوتى موسى . وعيسى عليهما السلام لم تعما وهو الاظهر ، وقد تقدم لك القول بانقطاع حكم نبوة كل نبي ماعدا نبينا ﷺ بعد موته فلا يكلف أحد مطلقا يحى . بعده باتباعه والقول بالانقطاع الا بالنسبة لمن كان من ذريته ، والظاهر أن قريشا كانوا ملزمين بآلة ابراهيم . واسماعيل عليهما السلام وانهم لم يزلوا على ذلك الى أن فشيت في العرب عبادة الاصنام التي أحدثها فيهم عمرو الخزاعي لعنه الله تعالى فلم يبق منهم على الملة الخنيفية الا قليل بل أقل من القليل فهم داخلون في عموم قوله تعالى (وإن من أمة الا خلا فيها نذير) فانه عام للرسل وللعالم الذي ينذر كذا قيل . واستشكل مع ما هنا ، وأجيب بان المراد هنا ما أتاهم نذير منهم من قبلك واليه يشير كلام الكشف وهناك (الاخلا فيها نذير) منها أو من غيرها أو يحمل النذير فيه على الرسول ، وفي تلك الآية على الاعم قال ابو حيان : في تفسير سورة الملائكة إن الدعاء الى الله تعالى لم ينقطع عن كل أمة اما بمباشرة من انبيائهم وأما بنقل الى وقت بعثة محمد ﷺ والآيات التي تدل على أن قريشا ما جاءهم نذير معناها لم يباشروهم وآباهم الاقربين وإلا أن النذارة انقطعت فلا نعم لما شرعت آثارها تدرس بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وما ذكره أهل علم الكلام من حال أهل الفترات فان ذلك على حسب الفرض لا أنه واقع فلا توجد أمة على وجه الارض الا وقد علمت الدعوة الى الله عز وجل وعبادته انتهى ، وفي القلب منه شيء ، ومقتضاه أن المنفى ههنا اتيان نذير مباشر أى نبي من الانبياء عليهم السلام قريشاً الذين كانوا في عصره عليه الصلاة والسلام قبله ﷺ وأنه كان فيهم من ينذرهم ويدعوهم الى عبادة الله تعالى وحده بالنقل أى عن نبي كان يدعو الى ذلك ، والاول مما لا ينبغي أن يختلف فيه اثنان بل لا ينبغي أن يتوقف فيه انسان ، والثاني مظنون التحقق في زيد بن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد أحد العشرة فانه عاصر النبي ﷺ واجتمع وآمن به قبل بعثته عليه الصلاة والسلام ولم يدر كها اذ قدمات وقريش تبني الكعبة وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنين ، وكان على ملة ابراهيم . واسماعيل عليهما السلام . فقد صح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذي نفسي بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيرى ، وفي بعض طرق الخبر عنه أيضاً بزيادة ، وكان يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به . ولكنى لا أعلم ثم يسجد على راحلته ، وذكر موسى بن عقبة في المغازي سمعت من أرضي يحدث أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبحهم لغير الله تعالى وصح أنه لم يأكل من ذبائح المشركين التي أكل بها لغير الله ، وأخرج الطيالسي في مسنده عن ابنه سعيد أنه قال : قلت للنبي ﷺ : إن أباك كان كما رأيت وكما بلغك أفاستغفر له : قال ، نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولا يبعد عن كان هذا شأنه الا نذار والدعوة الى عبادة الله تعالى بل من أنصف يرى تضمن كلامه الذي حكته أسماء وانكاره على قريش الذبح لغير الله تعالى الذي ذكره الطيالسي الدعوة الى دين ابراهيم عليه السلام وعبادة الله سبحانه وحده . وكذا تضمن كلامه النقل أيضاً ، ويعلم مما نقلناه أن الرجل رضى الله تعالى عنه لم يكن نبياً وهو ظاهر ، وزعم بعضهم أنه كان نبياً ، واستدل على ذلك بأنه كان يستند ظهره الى الكعبة ويقول : هلموا الى فانه لم يبق على دين الخليل غيرى ، وصحة ذلك ممنوعة ، وعلى فرض التسليم لادليل فيه على المقصود كما لا يخفى على من له أدنى ذوق ، ومثل زيد رضى الله تعالى عنه قس بن ساعدة الايادى فانه رضى الله تعالى عنه كان مؤمناً بالله عز وجل داعياً الى عبادته سبحانه وحده

وعاصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومات قبل البعثة على الملة الخنيفية وكان من المعمرين، ذكر السجستاني أنه عاش ثلاثمائة وثمانين سنة ، وقال المزدباني: ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة وذكر وافي شأنه أخبارا كثيرة لكن قال الحافظ ابن حجر في كتابه الإصابة قد أفرد بعض الرواة طريق قس وفيه شعره وخطبته وهو في الطرقات للطبراني وغيرها وطرقه كلها ضعيفة وعدمها ما عد قليلا جمع، ثم إن الاشكال إنما يتوهم لو أريد بقریش جميع أولاد قصي أو فهر أو النضر أو الياس أو مضر أما إذا أريد من كان منهم حين بعث ﷺ فلا لا يخفى على المتأمل فتأمل ، وقيل : المراد بهم العرب قریش وغيرهم ولم يأت المعاصرين منهم رسول الله ﷺ نذير من الانبياء عليهم السلام غيره ﷺ وكان فيهم من يندد ويدعو إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده وليس بنبي على ما سمعت آتفا، وأما العرب غير المعاصرين فلم يأتهم من عهد اسمعيل عليه السلام نبي منهم بل لم يرسل اليهم نبي مطلقا، وموسى . وعيسى . وغيرهما من انبياء بني اسرائيل عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا اليهم على الاظهر، وخالد بن سنان العبسي عند الاكثرين ليس بنبي، وخبر ورود بنت له عجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لها: مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه ونحوه من الاخبار بما للحفاظ فيه مقال لا يصلح معه للاستدلال ، وفي شروح الشفاء والإصابة للحافظ ابن حجر بعض الكلام في ذلك ، وقيل : المراد بهم أهل الفترة من العرب وغيرهم حتى أهل الكتاب، والمعنى ما أتاهم نذير من قبلك بعد الضلال الذي حدث فيهم هذا وكأني بك تحمل النذير هنا على الرسول الذي ينذر عن الله عز وجل وكذا في قوله تعالى: (وإن من أمة الا خلا فيها نذير) ليوافق قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) وأظن أنك تجعل التنوين في أمة للتعظيم أي وإن من أمة جليلة معتنى بامرها الا خلا فيها نذير ولقد بعثنا في كل أمة جليلة معتنى بامرها رسولا أو تعتبر العرب أمة وبني اسرائيل أمة ونحو ذلك أمة دون أهل عصر واحد وتحمل من لم يأتهم نذير على جماعة من أمة لم يأتهم بخصوصهم نذير ، وما يستأنس به في ذلك أنه حين ينفي اتیان النذير ينفي عن قوم ونحوه لا عن أمة فليتأمل ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تمام الكلام في هذا المقام ، وجوز كون (ما) موصولة وقعت مفعولا ثانيا لتندرو (من نذير) عليه متعلق باتاهم أي لتندرو قوما العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك أي على لسان نذير من قبلك واختاره أبو حيان ، وعليه لا مجال لتوهم الاشكال لكن لا يخفى أنه خلاف المتبادر الذي عليه اكثر المفسرين ، والاقتصار على الانذار في بيان الحكمة لأنه الذي يقتضيه قولهم : (افتراه) دون التبشير (لعلهم يهتدون ٣) أي لأجل أن يهتدوا بانذارك إياهم أو راجيا لاهتدائهم ، وجعل الترجي مستعارا للارادة منسوبا اليه عز وجل نزغة اعتزالية :

(اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) مر بيانه فيما سلف على مذهبي السلف والخلف (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ) أي ما لكم مجاوزين الله عز وجل أي رضاه سبحانه وطاعته تعالى ولي ولا شفيع أي لا ينفعكم هذان من الخلق عذبه سبحانه دون رضاه جل جلاله - فمن دونه - حال من مجرور (لكم) والعامل الجار أو متعلقه ، وعلى هذا المعنى لا دليل في الخطاب على أنه تعالى شفيع دون غيره ليقال: كيف ذلك وتعالى جل شأنه أن يكون شفيعا ، وكفى في ذلك رده ﷺ على الأعرابي حيث قال : انا نستشفع بالله تعالى اليك ، وقد يقال : الممتنع اطلاق الشفيع عليه تعالى بمناه الحقيقي

وأما إطلاقه عليه سبحانه بمعنى الناصر مجازاً فليس بممتنع ، ويجوز أن يعتبر ذلك هنا وحينئذ يجوز أن يكون (من دونه) حالاً ما بعد قدم عليه لأنه نكرة ودون بهي غير ، والمعنى مالكم ولي ولا ناصر غير الله تعالى ، ويجوز أن يكون حالاً من المجرور كما في الوجه الساق ، والمعنى مالكم إذا جاوزتم ولايته ونصرته جل وعلا ولي ولا ناصر ، ويظهر لي أن التعبير بالشفيع هنا من قبيل المشاكاة التقديرية لما أن المشركين المنذرين كثير أما كانوا يقولون في آلهتهم هؤلاء شفعاؤنا يومئذ عموماً أن كل واحد منها شفيع لهم ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تذكرون بها أو أسمعونها فلا تذكرون بها ، فالانكار على الأول متوجه إلى عدم السماع وعدم التذكر معاً ، وعلى الثاني إلى عدم التذكر مع تحقق ما يورجه من السماع .

﴿ يَدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ قيل : أي أمر الدنيا وشؤونها ، وأصل التدبير النظر في دابر الأمر والتفكير فيه ليحى محمود العاقبة وهو في حقه عز وجل مجاز عن ارادة الشيء على وجه الاتقان ومراعاة الحكمة والفعل مضمن معنى الانزال والجار ان في قوله تعالى : ﴿ مَنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ متعلقان به ومن ابتدائية وإلى انتهائية أي يريدته تعالى على وجه الاتقان ومراعاة الحكمة منزلاً له من السماء إلى الأرض ، وانزاله من السماء باعتبار اسبابه فان أسبابه سماوية من الملائكة عليهم السلام وغيرهم ﴿ ثُمَّ يَرْجُئُ ﴾ أي يصعد ويرتفع ذلك الأمر بعد تدبيره ﴿ إِلَيْهِ ﴾ عز وجل وهذا العروج مجاز عن ثبوته في علمه تعالى أي تعلق علمه سبحانه به تعلقاً تنجزياً بأن يعلمه جل وعلا موجوداً بالفعل أو عن كتابته في صحف الملائكة عليهم السلام القائمين بأمره عز وجل موجوداً كذلك ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَرُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴾ أي في برهة متطاولة من الزمان فليس المراد حقيقة العدد ، وعبر عن المدة المتطاولة بالآلاف لأنها منتهى المراتب وأقصى الغايات وليس مرتبة فوقها إلا ما يتفرع منها من أعداد مراتبها ، والفعلان متنازعان في الجار والمجرور وقد أعمل الثاني منهما فيه تنفيذ الآية طول امتداد الزمان بين تعلق ارادته سبحانه بوجود الحوادث في أوقاتها متقنة مراعى فيها الحكمة وبين وجودها كذلك ، وظاهرها يقتضى ان وجودها لا يتوقف على تعلق الارادة مرة أخرى بل يكفى فيه التعلق السابق وقيل : (في يوم) متعلق بيمرج وليس الفعلان متنازعين فيه ، والمراد بعروج الأمر إليه بعد تدبيره سبحانه آياه وصول خبر وجوده بالفعل كما دبر جل وعلا بواسطة الملك وعرضه ذلك في حضرة قد أعدّها سبحانه للاختبار بما هو جل جلاله أعلم به اظهار الكمال عظمتة تبارك وتعالى وعظيم سلطنته جلّت سلطنته ، وهذا كعرض الملائكة عليهم السلام أعمال العباد الوارد في الاخبار ، وألف سنة على حقيقتها وهي مسافة ما بين الأرض ومعدب السماء الدنيا بالسير المعهود للبشر فان ما بين السماء والأرض خمسمائة عام وثخن السماء كذلك كما جاء في الاخبار الصحيحة والملك يقطع ذلك في زمان يسير فالكلام على التشبيه فكأنه قيل : يريد تعالى الأمر متقناً مراعى فيه الحكمة بأسباب سماوية نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض فيكون كما أراد سبحانه فيمرج ذلك الأمر مع الملك ويرتفع خبره إلى حضرته سبحانه في زمان هو كآلف سنة بما تعدون ، وقيل : العروج إليه تعالى صعود خبر الأمر مع الملك إليه عز وجل كما هو مروى عن ابن عباس . وقتادة . ومجاهد . وعكرمة . والضحاك والفعلان متنازعان في (يوم) والمراد أنه زمان تدبير الأمر لو دبره البشر وزمان العروج لو كان منهم أيضاً

والافزمان التدبير والعروج يسير، وقيل : المعنى يدبر أمر الدنيا باظهاره في اللوح المحفوظ فينزل الملك الموكل به من السماء الى الارض ثم يرجع الملك أو الامر مع الملك اليه تعالى في زمان هو نظر النزول والعروج كألف سنة مما تعدون ، وأريد به مقدار ما بين الارض ومقر سماء الدنيا ذهابا وإيابا ، والظاهر أن (يدبر) عليه مضمن معنى الانزال ، والجاران متعلقان به لا بفعل محذوف أى فينزل به الملك من السماء الى الارض كما قيل ، وزعم بعضهم أن ضمير (اليه) للسماء وهى قد تذكر كما فى قوله تعالى : (السماء منفطر به) وقيل : المعنى يدبر سبحانه أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الرب جل شأنه وهو ألف سنة كما قال سبحانه : (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ثم يصير اليه تعالى ويثبت عنده عز وجل ويكتب فى صحف ملائكته جل وعلا كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضا اليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة ، ويشير الى هذا ما روى عن مجاهد قال : إنه تعالى يدبر ويلقى الى الملائكة أمور ألف سنة من سنيننا وهو اليوم عنده تعالى فاذا فرغت ألقى اليهم مثلها، وعليه الامر بمعنى الشأن والجاران متعلقان به أو بمحذوف حال منه ولا تضمنين فى (يدبر) والعروج اليه تعالى مجاز عن ثبوته وكتبه فى صحف الملائكة و(ألف سنة) على ظاهره و(فى يوم) يتعلق بالفعلين واعمل الثانى كأنه قيل : يدبر الامر ليوم مقداره كذا ثم يرجع اليه تعالى فيه كما تقول : قصدت ونظرت فى الكتاب أى قصدت الى الكتاب ونظرت فيه ، ولا يمنع اختلاف الصلتين من التنازع ، وتكرار التدبير الى يوم القيامة يدل عليه العدول الى المضارع مع ان الامر ماض كأنه قيل : يحدد هذا الامر مستمرا ؛ وقيل : المعنى يدبر أمر الدنيا من السماء الى الارض الى أن تقوم الساعة ثم يرجع اليه تعالى ذلك الامر كله أى يصير اليه سبحانه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة ، وعليه الامر بمعنى الشأن والجاران متعلقان به أو بمحذوف حال منه كما فى سابقه ، والعروج اليه تعالى الصيرورة اليه سبحانه لا ليثبت فى صحف الملائكة بل ليحكم جل وعلا فيه . و(فى يوم) متعلق بالعروج ولا تنازع ، والمراد بيوم مقداره كذا يوم القيامة ، ولا ينافى هذا قوله تعالى : « كان مقداره خمسين ألف سنة » بناء على احد الوجهين فيه لتفاوت الاستطالة على حسب الشدة أو لأن ثم خمسين موطننا كل موطن ألف سنة ، وقيل : المعنى ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه تعالى ما كان من قبوله او رده مع جبريل عليه السلام فى يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة وهو ما بين السماء والارض هبوطا وصعودا ، فالامر عليه مراد به الوحي كما فى قوله تعالى : « يلقى الروح من امره » والعروج اليه تعالى عبارة عن خبر القبول والرد مع عروج جبريل عليه السلام والتدبير والعروج فى اليوم لكن على التوسع والتوزيع فالفعلان متنازعان فى الظرف ولكن لا اختلاف فى الصلة ولا تنافى الآية على هذا قوله تعالى شأنه : (تخرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) بناء على الوجه الآخر فيه وستعرفهما ان شاء الله تعالى لأن العروج فيه الى العرش وفيها الى السماء الدنيا وكلاهما عروج الى الله تعالى على التجوز •

وقيل : المراد بالامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحات، والمعنى ينزل سبحانه ذلك مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه تعالى ذلك المأمور به خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة الخاص من العباد وعليه (يدبر) مضمن معنى الانزال ومن والى متعلقان به، ومعنى العروج الصعود كما فى قوله

تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب) والنزول من الالف استطالة المدة ، والمعنى استقلال عبادة الخلق واستطالة مدة ما بين التدبير والوقوع ، و (ثم) للاستبعاد ، واستدل لهذا المعنى بقوله تعالى إثر ذلك : (قليلا ما تشكرون) لأن الكلام بعضه مربوط ببعض وقلة الشكر مع وجود تلك الانعامات دالة على الاستقلال المذكور . وقيل : المعنى يدبر أمر الشمس في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب ومدارها في العالم من السماء الى الأرض وزمان طلوعها الى أن تغرب وترجع الى موضعها من الطلوع مقدارها في المسافة ألف سنة وهي تقطع ذلك في يوم وليلة . هذا ما قالوه في الآية الكريمة في بيان المراد منها ، ولا يخفى على ذي لب تكلف أكثر هذه الأقوال ومخالفتها لظاهر جداً وهي بين يديك فاختر لنفسك ما يحلو . ويظهر لي أن المراد بالسماء جهة العلو مثلها في قوله تعالى : (أأنتم من في السماء) وبمخرج الأمر اليه تعالى صعود خبره كما سمعت عن الجماعة و (في يوم) متعاقب بالعروج بلا تنازع ، وأقول : إن الآية من التشابه واعتقد أن الله تعالى يدبر أمور الدنيا وشؤونها ويريدها متقنة وهو سبحانه مستو على عرشه وذلك هو التدبير من جهة العلو ثم يصعد خبر ذلك مع الملك اليه عز وجل إظهاراً لمزيد عظمته وجلت عظمته وعظيم سلطنته عظمت سلطنته الى حكم هو جل وعلا أعلم بها وكل ذلك بمعنى لا تق به تعالى بجامع التنزيه مبين للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله ، وقول بعضهم : العرش موضع التدبير وما دونه موضع التفصيل وما دون السموات موضع التصريف فيه رائحة ما يذكرنا ، وأما تقدير يوم العروج هنا بالف سنة وفي آية أخرى بخمسين ألف سنة فقد كثرت الكلام في توجيهه وقد تقدم لك بعض منه . وأخرج عبد الرزاق . وسعيد بن منصور . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . وابن الأنباري في المصاحف . والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة قال : دخلت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فسأله عن قوله تعالى : (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة) فكأن ابن عباس اتهمه فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتخبرني فقال رضي الله تعالى عنه : هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه الله تعالى أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست الى ابن المسيب فسأله عنهما انسان فلم يخبر ولم يدرفقلت : إلا أخبرك بما سمعت من ابن عباس ؟ قال : بلى فأخبرته فقال للسائل : هذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أبي أن يقول فيهما وهو أعلم مني . وبعض المتصوفة يسمون اليوم المقدر بالف سنة باليوم الربوبي واليوم المقدر بخمسين ألف سنة باليوم الالهي ، ومحبي الدين قدس سره يسمى الأول يوم الرب والثاني يوم المعارج ، وقد ذكر ذلك وأياما أخر كيوم الشان ويوم المثل ويوم القمر ويوم الشمس ويوم زحل وأيام سائر السيارة ويوم الحمل وأيام سائر البروج في الفتوحات ، وقد سألت رئيس الطائفة الكشفية الحادثة في عصرنا في كربلاء عن مسئلة فكتب في جوابها ما كتب واستطرد ببيان اطلاقات اليوم وعد من ذلك أربعة وستين اطلاقاً ، منها اطلاقه على اليوم الربوبي واطلاقه على اليوم الالهي واطال الكلام في ذلك المقام ، ولعلنا إن شاء الله تعالى ننقل لك منه شيئاً معتد به في موضع آخر ، وسندكر إن شاء الله تعالى أيضاً تمام الكلام فيما يتعلق بالجمع بين هذه الآية وقوله سبحانه : (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) وقوله تعالى : (بما تعدون) صفة (ألف) أو صفة (سنة) . وقرأ ابن أبي عملة (يعرج) بالبناء للمفعول والاصل يعرج به فحذف الجار واستتر الضمير . وقرأ جناح بن حبيش (ثم يعرج الملائكة) اليه بزيادة الملائكة قال أبو حيان : ولعله تفسير منه اسقوطه في سواد المصحف .

وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما بخفض الأوصاف الثلاثة على أن ذلك إشارة إلى الأمر مرفوع المحل على أنه فاعل (يعرج) والأوصاف مجرورة على البدلية من ضمير (اليه) وقرأ أبو زيد النحوي بخفض الوصفين الأخيرين على أن (ذلك) إشارة إلى الله تعالى مرفوع المحل على الابتداء و(عالم) خبره والوصفان مجروران على البدلية من الضمير ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ خبر رابع أو نمت ثالث أو نصب على المدح ، وجوز أبو البقاء كونه خبر مبتدا محذوف أي هو الذي ، وكون (العزيز) مبتدا و (الرحيم) صفته وهذا خبره وجملة (خلقه) في محل جر صفة (شئ) ويجوز أن تكون في محل نصب صفة (كل) واحتمال الاستئناف بعيد أي حسن سبحانه كل مخلوق من مخلوقاته لأنه مامن شيء منها إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واستدعته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت في مراتب الحسن كما يشير إليه قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ونفي التفاوت في خلقه تعالى في قوله سبحانه : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) على معنى ستعرفه إن شاء الله تعالى غير منافي لما ذكر ، وجوز أن يكون المعنى علم كيف يخلقه من قوله . قيمة المراء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإيقان ، ولا يخفى بعده •

واختار أبو علي في الحجة ما ذكره سيبويه في الكتاب أنه مفعول مطلق لأحسن من معناه والضمير لله تعالى نحو قوله تعالى : (صنع الله ووعده الله) ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ ﴾ أي آدم عليه السلام ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ ٧ أو بدأ خلق هذا الجنس المعروف (من طين) حيث بدأ خالق آدم عليه السلام خلقا منظويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا منه ، وقرأ الزهري (بدا) بالالف بدلا من الهمزة قال في البحر : وليس القياس في هذا هدا بالبدال الهمزة ألغا بل قياس هذه الهمزة التسهيل بين بين على أن الإخفش حكى في قرأت قرئت قيل : وهي لغة الأنصار فهم يقولون في بدأ بدى بكسر عين الكلمة وياء بعدها ، وطىء يقولون في فعل هذا نحو بقي بقي كرمي فاحتمل أن تكون قراءة الزهري على هذه اللغة بأن يكون الأصل بدى ثم صار بدا ، وعلى

لغة الأنصار قال ابن رواحة :

باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

(ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) أى ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه (مِنْ سُلَالَةٍ) أى خلاصة وأصلها ما يسيل ويخلص بالتصفية (مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ٨) متهن لا يعنى به وهو المني (ثُمَّ سَوَّاهُ) عدله بتسكيل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ، وأصل التسوية جعل الأجزاء متساوية ، و(ثم) للترتيب الرتبي أو الذكري (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أضاف الروح اليه تعالى تشريفا له كما في بيت الله تعالى وناقة الله تعالى وإشعارا بأنه خلق عجيب وصنع بديع ، وقيل : أضافه لذلك إيماء إلى أن له شأنه مناسبة ما إلى حضرة الربوبية . ومن هنا قال أبو بكر الرازي : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ونفخ الروح قيل : مجاز عن جعلها متعلقة بالبدن وهو أوفق بمذهب القائلين بتجرد الروح وأنها غير داخلية في البدن من الفلاسفة وبعض المتكلمين بحجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة ، وقيل : هو على حقيقته والمباشر له الملك الموكل على الرحم واليه ذهب القائلون بأن الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن سريان ماء الورد في الورد والنار في الحجر ، وهو الذي تشهد له ظواهر الأخبار وأقام العلامة ابن القيم عليه نحو مائة دليل *

(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ) التفات إلى الخطاب لا يخفى موقع ذكره بعد نفخ الروح وتشريفه بخلة الخطاب حين صلح للخطاب والجعل ابداعى واللام متعلقة به ، والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم ، وتقديم السمع لكثرة فوائده فأن أكثر أمور الدين لا تعلم إلا من جهته وأفرد لأنه في الأصل مصدره وقيل : للإيماء إلى أن مدركه نوع واحد وهو الصوت بخلاف البصر فانه يدرك الضوء واللون والشكل والحركة والسكون وبخلاف الفؤاد فانه يدرك مدركات الحواس بواسطتها وزيادة على ذلك أى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعمة جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفاضلة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلامها إلى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما ، وقوله تعالى : (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٩) بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذليل والقلة بمعنى النفي كما ينفي عنه ما بعده * ونصب الوصف على أنه صفة لمحذوف وقع معمولا لتشكرون أى شكرا قليلا تشكرون أو زمانا قليلا تشكرون *

واستظهر الخفاجي عليه الرحمة كون الجملة حالية لا اعتراضية (وَقَالُوا) كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيدانا بأن ما ذكر من عدم شكرهم تلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جنائياتهم لغيرهم بطريق المبائة ، وروى أن القائل أبي بن خلف فضمير الجمع لرضا الباقيين بقوله (مَا ذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أى ضلنا فيها بأن صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا تتميز منه فهو من ضل المتاع إذا ضاع أو غبنا فيها بالدفن وإن لم نصر ترابا واليه ذهب قطرب ، وأنشد قول النابغة يرثي النعمان بن المنذر :

وآب مظلوه بعين جليلة وغودر بالجولان حزم ونائل

وقرأ يحيى بن يعمر . وابن محيص . وأبو رجاء . وطلحة . وابن وثاب (ضللنا) بكسر اللام ويقال: ضل بضل كضرب يضرب وضل بضل كعلم يعلم وهما بمعنى الأول اللغة المشهورة الفصيحة وهي لغة نجد والثاني لغة أهل العالية . وقرأ أبو حبة (ضللنا) بضم الضاد المعجمة وكسر اللام ورويت عن علي كرم الله تعالى وجهه •

وقرأ الحسن . والاعمش . وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وعن الحسن أنه كسر اللام ويقال فيه نحو ما يقال في ضل بالضاد المعجمة وزيادة أصل بالهمزة كافعل ، قال الفراء : والمعنى صرنا بين الصلة وهي الأرض اليابسة الصلبة كأنها من الصليل لأن اليابس الصاب إذا انشق يكون له صليل ، وقيل : أتينا من الصلة وهو التين ، وقيل للأرض الصلة لأنها است الدنيا وتقول العرب ضع الصلة على الصلة ، وقال النحاس لا نعرف في اللغة صللتنا ولكن يقال أصل اللحم وصل وأخم وخم إذا تين وهذا غريب منه . وقرأ ابن عامر (إذا) بترك الاستفهام والمراد الاخبار على سبيل الاستهزاء والتهمك والعامل في (إذا) ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا القرآن على نبيك بالحق ﴾ وهو نبعث أو يحدد خلقنا ، ولا يصح أن يكون هو العامل لما كان الاستفهام وإن وكل منهما لا يعمل ما بعده فيما قبله ويعتبر ما ذكر من نبعث أو يحدد خلقنا جوابا لا إذا اعتبرت شرطية لا ظرفية محضة والهمزة للانكار والمراد تأكيد الانكار لا إنكار التأكيد كما هو المتبادر من تقديمها على أداته فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وتقديمها عليها لقوة اقتضاها الصدارة •

وقرأ نافع . والكسائي . ويعقوب (إنا) بترك الاستفهام على نحو ما ذكر آنفا ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ١٠ ﴾ لإضراب وانتقال عن بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبغ وأشنع منه وهو كفرهم بقاء ملائكة ربهم عند الموت وما يكون بعده جميعا ، وقيل : هو إضراب وترق من التردد في البعث واستبعاده إلى الجزم بجموده بناء على أن لقاء الرب كناية عن البعث ، ولا يضر فيه على ما قال الخفاجي كون الاستفهام السابق إنكاريا وهو يؤل إلى الجحد فتأمل ﴿ قُلْ ﴾ ردا عليهم ﴿ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيئا من أجزائها أولا يترك شيئا من جزئياتها ولا يبقى أحدا منكم ، وأصل التوفي أخذ الشيء بتمامه ، وفسر بالاستيفاء لأن الفعل والاستفعال يلتزمان كثيرا كتنقيضه واستقصيته وتعجلته واستعجلته ، ونسبة التوفي إلى ملك الموت باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام يباشر قبض النفس بأمره عز وجل كما يشير إليه قوله سبحانه : ﴿ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ أي قبض أنفسكم ومعرفة انتهاء آجالكم •

وأخرج ابن أبي حاتم . وأبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما قال : دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رجل من الانصار يعود فإذا ملك الموت عليه السلام عند رأسه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال : أبشريا بمحمد فاني بكل مؤمن رفيق واعلم يا محمد اني لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله فاقوم في جانب من الدار فاقول والله مالي من ذنب وان لي لعودة وعودة الحذر الحذر وما خلق الله تعالى من أهل بيت ولا مدر ولا شعر ولا وبر في بر ولا بحر الا وانا أنصفهم فيه كل يوم وليلة خمس مرات حتى اني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد اني لا أقدر أقبض روح بموضة حتى يكون الله تبارك وتعالى الذي يأمر بقبضه ، وأخرج نحوه

الطبراني. وابو نعيم. وابن منده ونسبته اليه عز وجل في قوله سبحانه: (الله يتوفى الانفس) باعتبار أن أفعال العباد كلها مخلوقة له جل وعلا لا مدخل للعباد فيها بسوى الكسب كما يقوله الاشاعرة أو باعتبار أن ذلك باذنه تعالى ومشيتته جل شأنه ونسبته الى الرسل في قوله تعالى: (توفته رسلنا) والى الملائكة في قوله سبحانه: (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) لما أن ملك الموت لا يستقل به بل له اعوان كما جاء في الآثار يعالجون نزع الروح حتى إذا قرب خروجها قبضها ملك الموت، وقيل: المراد بملك الموت الجنس، وقال بعضهم: إن بعض الناس يتوفاهم ملك الموت وبعضهم يتوفاهم الله عز وجل بنفسه، أخرج ابن ماجه عن أبي أمامة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تعالى وكل ملك الموت عليه السلام بقبض الارواح الا شهداء البحر فانه سبحانه يتولى قبض ارواحهم» وجاء ذلك أيضا في خبر آخر يفيد أن ملك الموت للانس غير ملك الموت للجن والشياطين وما لا يعقل. أخرج ابن جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: وكل ملك الموت عليه السلام بقبض ارواح المؤمنين فهو الذى يلى قبض ارواحهم وملك فى الجن وملك فى الشياطين وملك فى الطير والوحش والسباع والحيتان والنمل فهم أربعة أملاك والملائكة يموتون فى الصعقة الأولى وأن ملك الموت يلى قبض ارواحهم ثم يموت وأما الشهداء فى البحر فان الله تعالى يلى قبض ارواحهم لا يكل ذلك إلى ملك الموت بكرامتهم عليه سبحانه.

والذى ذهب اليه الجمهور أن ملك الموت لمن يعقل وما لا يعقل من الحيوان واحد وهو عزرائيل ومعناه عبد الله فيما قيل نعم له أعوان كما ذكرنا، وخبر الضحاك عن ابن عباس الله تعالى أعلم بصحته ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث للحساب والجزاء. ومناسبة هذه الآية لما قبلها على ما ذكرنا فى توجيه الاضراب ظاهرة لأنهم لما جحدوا لقاء ملائكة ربهم عند الموت وما يكون بعده ذكر لهم حديث توفى ملك الموت إياهم إيمانهم إلى أنهم سيلاقونه وحديث الرجوع إلى الله تعالى بالبعث للحساب والجزاء، وأما على ما قيل فوجه المناسبة أنهم لما أنكروا البعث والمعاد رد عليهم بما ذكر لتضمن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ البعث وزيادة ذكر توفى ملك الموت إياهم وكونه موكلًا بهم لتوقف البعث على وفاتهم ولتهديدهم وتخويفهم وللإشارة إلى أن القادر على الاماتة قادر على الاحياء، وقيل: إن ذلك لرد ما يشعر به كلامهم من أن الموت بمقتضى الطبيعة حيث أسندوه إلى أنفسهم فى قولهم: (أنذا ضلنا فى الأرض) فليس عندهم بفعل الله تعالى ومباشرة ملائكته، ولا يخفى بعده. وابعده منه ما قيل فى المناسبة: إن عزرائيل وهو عبد من عبيده تعالى إذا قدر على تخليص الروح من البدن مع سريانها فيه سريان ماء الورد فى الورد والنار فى الجمر فكيف لا يقدر خالق القوى والقدر جل شأنه على تمييز اجزائهم المختاطة بالتراب وكيف يستبعد البعث مع القدرة الكاملة له عز وجل لما أن ذلك السريان ما خفى على العقلاء حتى أنكره بعضهم فكيف بجهلة المشركين فتأمل. وقرأ زيد بن على رضى الله تعالى عنهما (ترجعون) بالبناء للماعل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ وهم القائلون: (أنذا ضلنا فى الارض) أو جنس المجرمين وهم من جعلتهم ﴿نَاكُسُوا رُءُوسَهُمْ﴾ مطرقوها من الحياء والخزى ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ حين حسابهم لما يظهر من قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا. وقرأ زيد بن على رضى الله تعالى عنهما (ناكسوا رؤوسهم) فعلا ماضيا ومفعولا ﴿رَبَّنَا﴾ بتقدير القول الواقع حالا والعامل فيه (ناكسوا) أى يقولون ربنا الخ وهو أولى من تقدير يستغيثون بقولهم: ربنا

(أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) أي صرنا عن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا صما لا ندرك شيئا (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) حسبما تقتضيه تلك الآيات وهذا على ما قيل ادعاء منهم لصحة مشعري البصر والسمع ، وقوله تعالى : (أَنَا وَوَقُونَ ١٢) استئناف لتعليل ما قبله ، وقيل : استئناف لم يقصد به التعليل ، وعلى التقديرين هو متضمن لدعائهم صحة الاستفادة والاعتقاد على فهم معاني الآيات والعمل بما يوجبها ، وفيه من اظهار الثبات على الايقان وبإل رغبتهم فيه ما فيه ، وكأنه لذلك لم يقولوا : أبصرنا وسمعنا وأيقنا فارجعنا الخ ، ولعل تأخير السمع لأن أكثر العمل الصالح الموعود يترتب عليه دون البصر فكان عدم الفصل بينهما بالبصر أولى ، ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه بأن يقال : أبصرنا البعث الذي كنا ننكره وما وعدتنا به على إنكاره وسمعنا منك ما يدل على تصديق رسلك عليهم السلام ويراد به نحو قوله تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) لا الاخبار الصريح بل فقط ان رسلي صادقون مثلاً أو يقال أبصرنا البعث وما وعدتنا به وسمعنا قول الرسل أي سمعناه سماع طاعة واذعان أو يقال : أبصرنا قبح أعمالنا التي كنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا قول الملائكة لنا إن مردم إلى النار ، وقيل : أرادوا أبصرنا رسلك وسمعنا كلامهم حين كنا في الدنيا أو أبصرنا آياتك التكوينية وسمعنا آياتك التنزيلية في الدنيا فلك الحجة علينا وليس لنا حجة فارجعنا الخ ، ولا يخفى حال هذا القيل ، وعلى سائر هذه التقادير وجه تقديم الابصار على السماع ظاهر ، و«لو» هي التي سماها غير واحد امتناعية وجوابها محذوف تقديره لرأيت أمراً فظيماً لا يقادر قدره • والخطاب في «تري» لكل أحد ممن يصح منه الرؤية إذ المراد بيان حال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتمعجب من هولها وفضاعتها ، وقيل : لأن القصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يتعنع خفاؤها البتة فلا يختص برؤيتها راء دون راء ، والجواب المقدر أوفق بما ذكر أولاً ، والفعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول أي لو تكن منك رؤية في ذلك الوقت لرأيت أمراً فظيماً ، وجوز أن يكون الخطاب خاصاً بسيد المخاطبين ﷺ و«لو» للتمنى كأنه قيل : ليتك ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم لتشمت بهم ، وحكم التمني منه تعالى حكم الترجي وقد تقدم ، ولا جواب لها حينئذ عند الجمهور ، وقال أبو حيان . وابن مالك : لا بد لها من الجواب استدلالاً بقول مهلهل في حرب البسوس :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذائب أي زير

يوم الشعثمين لقر عيننا وكيف لقاء من تحت القبور

فان لو فيه للتمنى بدليل نصب فيخبر وله جواب وهو قوله لقر ، ورد بأنها شرطية ويخبر عطف على مصدر متصيد من نبش كأنه قيل : لو حصل نبش فاخبار ، ولا يخفى ما فيه من التكلف ، وقال الخفاجي عليه الرحمة : لو قيل : انها لتقدير التمني معها كثيراً أعطيت حكمه واستغنى عن تقدير الجواب فيها اذا لم يذكر ثا في الوصلية ونصب جوابها كان أسهل مما ذكر ، وجوز أن يقدر لترى مفعول دل عليه ما بعد أي لو ترى المجرمين أو لو ترى نكسهم رؤسهم والمضى في لوا الامتناعية واذا لأن اخباره تعالى عما تحقق في عله الا زلي لتحقيقه بمنزلة الماضي

فيستعمل فيه ما يدل على المضى مجازا كـ «واذ، هذا ومن الغريب قول أبى العباس فى الآية : المعنى قل يا محمد للمجرم ولو ترى وقد حكاه عنه أبو حيان ثم قال : رأى أن الجملة معطوفة على (يتوفاكم) داخله تحت «قل» السابق ولذا لم يحمل الخطاب فيه للرسول عليه الصلاة والسلام انتهى كلامه فلا تغفل .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ مقدر بقول معطوف على مقدر قبل قوله تعالى : (ربنا أبصرنا) الخ وهو جواب لقولهم (ارجعنا) يفيد أنهم لو أرجعوا لعادوا لما نهوا عنه لسوء اختيارهم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى إعطائهم الهدى أى ونقول : لو شئنا أى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة هدايا أى ما تهتدى به إلى الايمان والعمل الصالح ، وفسره بعضهم بنفس الايمان والعمل الصالح والاول أولى ، وأما تفسيره بما سأله الكثرة من الرجوع إلى الدنيا أو بالهداية إلى الجنة فليس بشئ . لا عطيناها إياه فى الدنيا التى هى دار المكسب والآخرناه إلى دار الجزاء ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ أى ثبت وتحقق قولى وسبقت كلمتى حيث قالت لابلis عند قوله : (لا غوibernهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين : فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٣ يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه فى الخطاب لابلis مقدم وتقديمه هناك لأنه الاوفق لمقام تحقير ذلك المخاطب عليه اللعنة ، وقيل : التقديم فى الموضوعين لأن الجهنميين من الجنة أكثر .

ويعلم بما ذكرنا وجه العدول عن ضمير العظمة فى قوله سبحانه : (ولو شئنا لآتيناه) إلى ضمير الوحدة فى قوله جل وعلا : (ولكن حق القول منى) وذلك لأن ما ذكر إشارة إلى ما وقع فى الرد على اللعين وقد وقع فيه القول والاملاء مسندين إلى ضمير الوحدة ليكون الكلام على طرز « لا غوibernهم أجمعين الا عبادك » فى توحيد الضمير ، وقد يقال : ضمير العظمة أوفق بالكثرة الدال عليها « كل نفس » والضمير الآخر أوفق بما دون تلك الكثرة الدال عليه (من الجنة والناس) أو يقال : إنه وحد الضمير فى الوعيد لما أن المعنى به المشركون فكأنه أخرج الكلام على وجه لا يتوهم فيه متوهم نوعا من أنواع الشراكة أصلا أو أخرج على وجه يلوح بما عدلوا عنه من التوحيد إلى ما ارتكبوه مما أوجب لهم الوعيد من الشرك ، أو يقال : وحد الضمير فى « لا ملأنا » لأن الاملاء لا تعدد فيه فتوحيد الضمير أوفق به ويقال نظير ذلك فى (حق القول منى) والابتداء يتعدد بتعدد المؤتى فضمير العظمة أوفق به ويقال نظيره فى (شئنا) فتدبر ، ولا يلزم من قوله تعالى : « أجمعين » دخول جميع الجن والانس فيها ، وأما قوله تعالى : (وان منكم الا واردها) فالورود فيه غير الدخول ، وقد مر الكلام فى ذلك لأن « أجمعين » تفيد عموم الانواع لا الافراد فالمعنى لا ملأنا منها من ذينك النوعين جميعا فملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا كذا قيل ، ورد بأنه لو قصد ما ذكر لكان المناسب التثنية دون الجمع بان يقال ليهما ، واستظهر أنها لعموم الافراد والتعريف فى (الجنة والناس) للعهد والمراد عصاتهما ويؤيده الآية المتضمنة خطاب ابلis ، وحاصل الآية لو شئنا آتياه كل نفس هدايا لآتيناه إياه لكن تحقق القول منى لا ملأنا جهنم الخ فموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابلis الذين اتهم من جعلتهم حيث صرقتهم اختياركم إلى الغنى باغوائه ومشيتنا لأفعال العباد منروطة باختيارهم إياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلال لم نشأ إعطائهم لكم وانما أعطيناها الذين أختاروه من البررة وهم المعنيون بما سياتى إن شاء الله تعالى من قوله سبحانه : (انما يؤمن بآياتنا) الآية

فيكون مناط عدم مشيئته تعالى اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول، وإنما قيدت المشيئة بامر من التعلق الفعلي بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم اجمالاً متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدماً منوطاً بتحققها وإنما مناطه عليه تعالى أنه لا يصرف اختيارهم فيما سيأتي إلى الغنى وإيثارهم له على الهدى فلو أريدت هي من تلك الحيشة لاستدرك بعدمها بأن يقال: ولكن لم نشأ ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى: (ولو علم الله فيهم خيراً لآسأهم) كذا قال بعض الاجلة. وقد يقال: يجوز أن يراد بالمشيئة المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم ويراد بالقول علم الله تعالى فانه وكذا كلمة الله سبحانه يطلق على ذلك كما قال الراغب، وذكر منه قوله تعالى: (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) وقوله سبحانه: (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) وحاصل المعنى لو شئنا في الازل إتياء كل نفس هداها في الدنيا لآتيناه إياها ولكن ثبت وتحقق على أزلنا بتعذيب العصاة فبمرجّب ذلك لم نشأ اذ لا بد من وقوع المعلوم على طبق العلم لئلا يازم انقلاب العلم جهلاً ووقوع ذلك يستدعي وجود العصاة اذ تعذيب العصاة فرع وجودهم ومشية إتياء الهدى كل نفس تستلزم طاعة كل نفس ضرورة استلزام العلة بالمعلول فيلزم أن تكون النفس المعذبة عاصية طائعة وهو محال وهذا المحال جاء من مشيئته إتياء كل نفس هداها مع عليه تعالى بتعذيب العصاة فاما أن ينتفي العلم المذكور وهو محال لأن تعلق عليه سبحانه بالمعلوم على ما هو عليه ضروري فتمين انتفاء المشيئة لذلك ويرجع هذا بالآخرة إلى أن سبب انتفاء مشيئته إتياء الهدى للعصاة سوء ما هم عليه في أنفسهم لأن المشيئة تابعة للعلم والعلم تابع للمعلوم في نفسه فعليه تعالى بتعذيب العصاة يستدعي عليه سبحانه إياهم بعنوان كونهم عصاة فلا يشاؤون جل جلاله إلا بهذا العنوان الثابت لهم في أنفسهم ولا يشاؤون سبحانه على خلافه لأن مشيئته تعالى إياهم كذلك تستدعي تعلق العلم بالشئ على خلاف ما هو عليه في نفس الامر وليس ذلك علماً.

ويمكن أن يبقى العلم على ظاهره ويقال: انه تعالى لم يشأ هداهم لأنه جل وعلا قال لا بليس عليه اللعنة: إنه سبحانه يعذب أتباعه ولا بد ولا يقول تعالى خلاف ما يعلم فلا يشاء تبارك وتعالى خلاف ما يقول ويرجع بالآخرة أيضاً إلى أنه تعالى لم يشأ هداهم لسوء ما هم عليه في أنفسهم بأدنى تأمل، وما آل الجواب على التقريرين لا فائدة لكم في الرجوع لسوء ما أنتم عليه في أنفسكم، ولا يخفى أن ما ذكر مبني على القول بالاعيان الثابتة وإن الشقى شقى في نفسه والسعيد سعيد في نفسه وعلم الله تعالى أنما تعلق بهما على ما هما عليه في أنفسهم ما وان مشيئته تعالى إنما تعلقت بإيجادهما حسبما علم جل شأنه فوجدنا في الخارج بإيجاده تعالى إياهما على ما هما عليه في أنفسهم فاذا تم هذا تم ذاك والا فلا، والفاء في قوله تعالى: (فذوقوا) لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبل من نفي الرجوع إلى الدنيا أو على قوله تعالى: (ولكن حق القول مني) الخ، ولعل هذا أسرع تبادلراً، وجعلها بعضهم واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا يشتم من الرجوع أو إذا حق القول فذوقوا، وجوز كونها تفصيلية والامر للتهديد والتوبيخ، والباء في قوله سبحانه: (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) للسببية و(ما) مصدرية و(هذا) صفة يوم جيء به للتحويل، وجوز كونه مفعول (ذووا) وهو إشارة إلى ما هم فيه من نكس الرأس والحزى والغم، وعلى الأول يكون مفعول (ذوقوا) محذوفاً والوصفية أظهر أي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم اذ انزل

(٢- ١٧- ج- ٢١ - تفسير روح المعاني)

وترككم التفكير فيه والتزود له بالسكينة، وهذا تصريح بسبب العذاب من قبلهم فلا ينافي أن يكون له سبب آخر حقيقيا كان أو غيره، والتوبيخ به من بين الأسباب لظهوره وكونه صادرا منهم لا يسعهم إنكاره، والمراد بنسيانهم ذلك تركهم التفكير فيه والتزود له كما أشرنا إليه وهو بهذا المعنى اختياري يوبخ عليه ولا يكاد يصح إرادة المعنى الحقيقي وإن صح التوبيخ عليه باعتبار تعمد سببه من الانهماك في اتباع الشهوات، ومثله في كونه مجازا للنسيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي تركناكم في العذاب ترك المنسى بالمرة وجعل بعضهم هذا من باب المشاكلة ولم يعتبر كون الأول مجازا مانعا منها قيل: والقرينة على قصد المشاكلة فيه أنه قصد جزاؤهم من جنس العمل فهو على حد (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ تذكير للتأكيـد والتشديد وتعيين المفعول المهم للذوق والاشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخرى من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا، ولما كان فيه زيادة على الأول حصلت به مغايرته له استحق العطف عليه ولم ينظم السلك في سلك واحد للتنبية على استقلال كل من النسيان وما ذكر في استيجاب العذاب، وفي إبهام المذوق أولا وبيان ثانيا بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبيء عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى •

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم إيمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل: إنكم لا تؤمنون بآياتنا الدالة على شؤنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو أرجعناكم إلى الدنيا وانما يؤمن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أي وعظوا ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أثر ذى أثر من غير تردد ولا تلثم فضلا عن التسويف إلى معاينة مانطقته به من الوعد والوعيد أى سقطوا ساجدين تواضعا لله تعالى وخشوعا وخوفا من عذابه عز وجل، قال أبو حيان: هذه السجدة من عزائم سجود القرآن، وقال ابن عباس: السجود هنا الركوع •

وروى عن ابن جريج . ومجاهد أن الآية نزلت بسبب قوم من المنافقين كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من المسجد فكان الركوع يقصد من هذا ويلزم على هذا أن تكون الآية مدنية ومن مذهب ابن عباس أن القارئ لآية السجدة يركع واستدل بقوله تعالى: (وخر راكعا وأناب) اهـ

ولا يخفى ما في الاستدلال من المقال ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ونزهوه تعالى عند ذلك عن كل مالا يليق به سبحانه من الأمور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه جل وعلا التي أجلها الهداية بإيتاء الآيات والتوفيق إلى الاهتداء بها فالجهد في مقابلة النعمة، والباء للابسة والجار والمجرور في موضع الحال، والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضميرهم للاشعار بعلّة التسبيح والتحميد بأنهم يفعلونها بملاحظة ربوبيته تعالى لهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ١٥﴾ عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصبر مستكبرا كأن لم يسمع الآيات، والجملة عطف على الصلة أو حال من أحد ضميري (خروا وسبحوا) وجوز عطفها على أحد الفعلين، وقوله تعالى: ﴿تَجَاوَزْ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ جملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم • وجوز أن تكون حالية أو خبرا ثانيا للبتداء، والتجافى البعد والارتفاع؛ والجنوب جمع جنب الشقوق، وذكر

الراغب أن أصل الجنب الجارحة ثم يستعار في الناحية التي تليها كمادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال، و(المضاجع) جمع المضجع أما كن الاتكاء للنوم أى تتجافى وترفع جنوبهم عن مواضع النوم وهذا كناية عن تركهم النوم ومثله قول عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : •

نبي تتجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

والمشهور أن المراد بذلك التجافى القيام لصلاة النوافل بالليل وهو قول الحسن . ومجاهد . ومالك . والاوزاعي . وغيرهم . وفي الأخبار الصحيحة ما يشهد له ، أخرج أحمد . والترمذى وصححه . والنسائى . وابن ماجه . ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة . وابن جرير . وابن أبى حاتم . والحاكم . وصححه . وابن مردويه . والبيهقى في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل قال : « كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار ؟ قال : لقد سألت عن عظيم وأنه يسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ يعملون الحديث •

وقال أبو الدرداء . وقتادة . والضحاك هو أن يصلى الرجل العشاء والصبح في جماعة ، وعن الحسن . ووطاه هو أن لا ينام الرجل حتى يصلى العشاء ، أخرج الترمذى وصححه . وابن جرير . وغيرهما عن أنس قال : إن هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) نزلت في انتظار الصلاة التى تدعى العتمة ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال فيها : نزلت فينا معاشراً الأنصار ~~كنا~~ نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : هو أن يصلى الرجل المغرب ويصلى بعدها إلى العشاء ، فقد أخرج عبد الله ابن أحمد في زوائد الزهد . وابن عدى . وابن مردويه عن مالك بن دينار قال : سألت أنس بن مالك عن هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال : كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المهاجرين الأولين يصلون المغرب ويصلون بعدها إلى عشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم ، وقال قتادة . وعكرمة : هو أن يصلى الرجل ما بين المغرب والعشاء ، واستدل له بما أخرجه محمد بن نصر عن عبد الله بن عيسى قال : كان ناس من الأنصار يصلون ما بين المغرب والعشاء فنزلت فيهم (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) •

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال في الآية : تتجافى جنوبهم لذكر الله تعالى كلما استيقظوا ذكروا الله عز وجل أما في الصلاة وأما في قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله تعالى ، وروى نحوه هو . ومحمد بن نصر عن الضحاك . والجمهور عولوا على ما هو المشهور ، وفي فضل التهجد ما لا يحصى من الأخبار وأفضله على مانص عليه غير واحد ما كان في الأسحار •

(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) حال من ضمير (جنوبهم) وقد أضيف اليه ما هو جزء ، وجوز على احتمال كون جملة (تتجافى) الخ حالية أن تكون حالاً ثانية مما جعلت تلك حالاً منه وعلى احتمال كونها خبراً ثانياً للببتدا أن تكون خبراً ثالثاً ، وجوز كونها مستأنفة ، والظاهر أن المراد بدعائهم ربهم سبحانه المعنى المتبادر ، وقيل : المراد به الصلاة (خوفاً) أى خائفين من سخطه تعالى وعذابه عز وجل وعدم قبول عبادتهم (وطمعاً)

في رحمته تبارك وتعالى فالمصدران حالان من ضمير (يدعون) وجوز أن يكونا مصدرين لمقدر أي يخافون خوفاً ويطمعون طمعاً وتكون الجملة حينئذ حالاً، وأن يكونا مفعولاً له ولا يخفى أن الآية على الحالية أمدح •
 ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ إياه من المال ﴿يُنْفِقُونَ ١٦﴾ في وجوه الخير ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ أي كل نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن عدام فإن النكرة في سياق النفي تعم، والفاء سببية أو فصيحة أي أعطوا فوق رجاؤهم فلا تعلم نفس ﴿مَا أَخْفَى لَهُمْ﴾ أي لأولئك الذين عدت نعوتهم الجليلة ﴿من قرأه أعين﴾ أي بما تقر به أعين، وفي إضافة القرية إلى الاعين على الإطلاق لآلى أعينهم تنبيه على أن ما أخفى لهم في غاية الحسن والكمال •

وروى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعكم عليه أقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه أعين » وأخرج الفريابي . وابن أبي شيبة . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . والطبراني . والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : إنه لمكتوب في التوراة (لقد أعد الله تعالى للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر) ولا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه أعين ﴿جَزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧﴾ أي جوزوا جزاء بسبب ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحة فجزاء مفعول مطلق لفعل مقدر والجملة مستأنفة •

وجوز جعلها حالية ، وقيل : يجوز جعله مصدراً مؤكداً المضمون الجملة المتقدمة ، وقيل : يجوز أن يكون مفعولاً له لقوله تعالى : (لا تعلم نفس) على معنى منعت العلم للجزاء أو لأخفى فإن إخفائه لعلو شأنه ، وعن الحسن أنه قال : أخفى القوم أعمالاً في الدنيا فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أي أخفى ذلك ليكون الجزاء من جنس العمل •

وفي الكشف أن هذا يدل على أن الفاء في قوله تعالى : (فلا تعلم) رابطة للآحق بالسابق وأصله فلا يعلمون والعدول لتعظيم الجزاء ، وعدم ذكر الفاعل في (أخفى) ترشيح له لأن جازيه من هو العظيم وحده فلا يذهب وهل إلى غيره سبحانه اه فتأمل •

وقرأ حمزة . ويعقوب . والأعشى (أخفى) بسكون الياء فعلاً مضارعاً للمتكلم ، وابن مسعود (نخفى) بنون العظمة ، والأعشى أيضاً (أخفيت) بالاسناد إلى ضمير المتكلم وحده ، ومحمد بن كعب (أخفى) فعلاً مضارعاً مبنياً للفاعل و (ما) في جميع ذلك اسم موصول مفعول (تعلم) والعلم بمعنى المعرفة والعائد الضمير المستتر النائب عن الفاعل على قراءة الجمهور وضميره محذوف على غيرها ، وقال أبو البقاء : يجوز أن تكون (ما) استفهامية وموضعها رفع بالابتداء و (أخفى لهم) خبره على قراءة من فتح الياء وعلى قراءة من سكنها وجعل (أخفى) مضارعاً يكون (ما) في موضع نصب بأخفى ويعلم منه حالها على سائر القراءات ، وإذا كانت استفهامية يجوز أن يكون العلم بمعنى المعرفة وأن يكون على ظاهره فيتمدى لمفعولين تسداً للجملة الاستفهامية مسدداً ، وعلى كل من احتمال الموصولية والاستفهامية فالإيهام للتعظيم . وقرأ عبد الله . وأبو الدرداء . وأبو هريرة . وعون . والعقيلي (من قرأت) على الجمع بالالف والتاء ، وهي رواية عن أبي عمرو . وأبي جعفر . والأعشى ، وجمع المصدر أو اسمه لا اختلاف أنواع القرية ، والجار والمجرور في موضع الحال •

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ﴾ أى أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذى حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت أحواله القبيحة العاطلة، وأصل الفسق الخروج من فسقت الثمرة اذا خرجت من قشرها ثم استعمل فى الخروج عن الطاعة وأحكام الشرع مطلقا فهو أعم من الكفر وقد يخص به كما فى قوله تعالى: (ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) وكما هنا المقابلة بالمؤمن مع ما سئمه بعد ان شاء الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ ١٨ ﴾ التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرءة على ابلغ وجهه وآ كده لزيادة التأكيد وبناء التفصيل الآتى عليه، والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها، وقيل: الضمير لاثنتين وهما المؤمن والكافر والتثنية جمع .

﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى ﴾ تفصيل لمراتب الفريقين بعد نفي استوائهم ما وقيل: بعد ذكر أحوالهما فى الدنيا، وأضيفت الجنان إلى المأوى لأنها المأوى والمسكن الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة، وقيل: المأوى علم لمكان مخصوص من الجنان كعدن، وقيل: جنة المأوى لما روى عن ابن عباس، أنها تسمى المأوى اليها أرواح الشهداء، وروى أنها عن يمين العرش ولا يخفى ما فى جعله علما من البعد وأيا ما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز إلى ما ذكر من تجافيتهم عن مضاجعهم التى هى ما واهم فى الدنيا وقرأ طلحة (جنة المأوى) بالافراد (نُزْلًا) أى ثوابا وهو فى الأصل ما يبعد للنازل من الطعام والشراب والصلة ثم عم كل عطاء، وانصبه على أنه حال من (جنات) (والعامل فيه الظرف، وجوز أن يكون جمع نازل فيكون حالا من ضمير (الذين آمنوا) وقرأ أبو حيوة (نزلا) باسكان الزاى كذا فى قوله .

وكذا اذا الجبار بالجيش ضافنا جملنا القنا والمرهفات له نزلا

﴿ بَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٩ ﴾ أى بسبب الذى كانوا يعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة على ان ما موصولة والعائد محذوف والباء سببية، وكون ذلك سببا يقتضى فضله تعالى ووعد عذ وجل فلا ينافى حديث «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله» ويجوز أن تكون الباء للمقابلة والمعارضة كملى فى نحو بعتك الدار على الف درهم أى فلم ذلك على الذى كانوا يعملونه .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ أى خرجوا عن الطاعة فكفروا وارتكبوا المماصى ﴿ قَالُوا هُمْ ﴾ أى فسكنهم ومحلهم ﴿ النَّارُ ﴾ وذكر بعضهم أن المأوى صار متعارفا فيما يكون ملجا للشخص ومستراحا يستريح اليه من الحر والبرد وهما فاذا أريد هنا يكون فى الكلام استعارة تهكمية كما فى قوله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم)، وجوز أن يكون استعمال ذلك من باب المشاكلة لأنه لما ذكر فى أحد القسمين فلم جنات المأوى ذكر فى الآخر (فأواهم النار) ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا ﴾ استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم والكلام على حد قوله تعالى: (جدارا يريد أن ينقض) على ما قيل، والمعنى كلما شرفوا الخروج منها وقربوا منه أُعيدوا فيها ودفنوا الى قعرها، فقد روى أنهم يضربهم لخب النار فيرتفعون الى أعلاها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهبون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا، وقيل: الكلام على ظاهره إلا أن فيه حذفا أى

كلما أرادوا أن يخرجوا منها فخرجوا من معظمها أعيدها فيها، ويشير الى أن الخروج من معظمها قوله تعالى :
(فيها) دون اليها ، وجوز أن يكون الكلام هنا عبارة عن خلودهم فيها، وأياما كان لا منافاة بين هذه الآية وقوله

تعالى : « وما هم بخارجين من النار » ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم *

﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ ﴾ اي بعذاب النار ﴿ تَكْذِبُونَ ٢٠ ﴾ على الاستمرار في الدنيا وأظهرت
النار مع تقدمها قبل لزيادة التهديد والتخويف وتعظيم الأمر، وذكر ابن الحاجب في أماليه وجه آخر للاظهار
وهو أن الجملة الواقعة بعد القول حكاية لما يقال لهم يوم القيامة عند ارادتهم الخروج من النار فلا يناسب
ذلك وضع الضمير اذ ليس القول حينئذ مقدما عليه ذكر النار وإنما ذكرها سبحانه قبل اخبارا عن احوالهم ،
ونظر فيه الطيبي عليه الرحمة بأن هذا القول داخل أيضا في حيز الاخبار لعطفه على (أعيدها) الواقع
جوابا لكلما فكما جاز الاضمار في المعطوف عليه جاز فيه أيضا ان لم يقصد زيادة التهديد والتخويف *

ورد بأن المانع انه حكاية لما يقال لهم يوم القيامة والاصل في الحكاية أن تكون على وفق المحكى عنه دون تغيير
ولا اضمار في المحكى لعدم تقدم ذكر النار فيه . وتعقب بأنه قد يناقش فيه بأن مراده انه يجوز رعاية المحكى
والحكاية وكما أن الاصل رعاية المحكى الاصل الاضمار إذا تقدم الذكر فلا بد من مرجح *

وقال بعض المحققين: اراد ابن الحاجب أن الاظهار هو المناسب في هذه الجملة نظرا الى ذاتها ونظر الى سياقها
أما الاول فلائها يقال من غير تقدم ذكر النار، وأما الثاني فلائ سياق الآية للتهديد والتخويف وتعظيم
الامر وفي الاظهار من ذلك ما ليس في الاضمار، وهذا بعيد من أن يرد عليه نظر الطيبي، والانصاف ان كلا
من الاضمار والاظهار جائز وأنه رجح الاظهار اقتضاء السياق لذلك. ونقل عن الراغب ما يدل على أن المقام
في هذه الآية مقام الضمير حيث ذكر عنه أنه قال في درة التنزيل: إنه تعالى قال ههنا (ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون) وقال سبحانه في آية أخرى: (عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) فذكر جل وعلا ههنا وأنت
سبحانه هناك والسر في ذلك أن النار ههنا وقعت موقع الضمير والضمير لا يوصف فأجرى الوصف على العذاب
المضاف اليها وهو مذكر وفي تلك الآية لم يجر ذكر النار في سياقها فلم تقع النار موقع الضمير فأجرى الوصف
عليها وهي مؤنثة دون العذاب فتأمل ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ﴾ أى الاقرب ، وقيل : الاقل وهو
عذاب الدنيا فانه أقرب من عذاب الآخرة وأقل منه ، واختلف في المراد به فروى النسائي . وجماعة وصححه
الحاكم عن ابن مسعود أنه سنون أصابهم ، وروى ذلك عن النخعي . ومقاتل، وروى الطبراني وآخرون وصححه
والحاكم عن ابن مسعود أيضا أنه ما أصابهم يوم بدر . وروى نحوه عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما
بلفظ هو القتل بالسيف نحو يوم بدر ، وعن مجاهد القتل والجوع *

وأخرج مسلم . وعبدالله بن احمد في زوائد المسند . وأبو عوانة في صحيحه، وغيرهم عن أبي بن كعب أنه قال:
هو مصائب الدنيا والروم والبطشة والدخان، وفي لفظ مسلم أو الدخان *

وأخرج ابن المنذر . وابن جرير . عن ابن عباس أنه قال: هو مصائب الدنيا وأسقامها وبلاياها، وفي رواية
عنه . وعن الضحاك . وابن زيد بلفظ مصائب الدنيا في النفس والاموال، وفي معناه ما أخرج ابن مردويه عن
أبي ادريس الخولاني قال: سألت عبادة بن الصامت عن قوله تعالى : (ولنذيقنهم) الآية فقال: سألت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال عليه الصلاة والسلام: هي المصائب والاسقام والأصار عذاب للبشر

في الدنيا دون عذاب الآخرة قلت: يا رسول الله فما هي لنا؟ قال: زكاة وطهور، وفي رواية عن ابن عباس أنه الحدود وأخرج هنا عن عن أبي عبيدة أنه فسر به عذاب القبر، وحكى عن مجاهد أيضاً ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ هو عذاب يوم القيامة كما روى عن ابن مسعود وغيره، وقال: ابن عطية لا خلاف في أنه ذلك، وفي التحرير إن أكثرهم على أن العذاب الأكبر عذاب يوم القيامة في النار، وقيل: هو القتل والسبي والاسر، وعن جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما أنه خروج المهدي بالسيف انتهى، وعليهما يفسر العذاب الأدنى بالسنين أو الاسقام أو نحو ذلك مما يكون أدنى مما ذكر، وعن بعض أهل البيت تفسيره بالدابة والدجال، والمعول عليه ما عليه الأكثر.

وانما لم يقل الأصغر في مقابلة (الأكبر) أو الأبعد في مقابلة (الأدنى) لأن المقصود هو التخويف والتهديد وذلك إنما يحصل بالقرب لا بالصغر وبالكبر لا بالبعد، قاله الذيبابوري ملخصاً له من كلام الإمام، وكذا أبو حيان إلا أنه قال: إن الأدنى يتضمن الأصغر لأنه منقضى، وت العذاب والأكبر يتضمن الأبعد لأنه واقع في الآخرة فحصلت المقابلة من حيث تتضمن وصرح بما هو آكد في التخويف ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢١﴾ أى لعل من بقى منهم يتوب قاله ابن مسعود، وقال الزمخشري: أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى: (فارجعنا لعمل صالحا) وسميت ارادة الرجوع رجوعاً كما سميت ارادة القيام قياماً في قوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) ويدل عليه قراءة من قرأ (يرجعون) على البناء للمفعول انتهى * وهو على ما حكى عن مجاهد وروى عن أبي عبيدة فيتعلق (لعلهم) الخ بقوله تعالى: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) كما في الأول إلا أن الرجوع هنالك التوبة وههنا الرجوع إلى الدنيا ويكون من باب (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) أو يكون الترجي راجعاً إليهم، ووجه دلالة القراءة المذكورة عليه أنه لا يصح الحمل فيها على التوبة، والظاهر التفسير المأثور، والقراءة لا تأباه لجواز أن يكون المعنى عليها لعلهم يرجعهم ذلك العذاب عن الكفر إلى الإيمان، و(لعل) لترجي مخاطبين كما فسرهابذلك سيويوه، وعن ابن عباس تفسيرها هنا بكى وكائن المراد كي نعرضهم بذلك للتوبة، وجعلها الزمخشري لترجي سبجانه ولاستحالة حقيقة ذلك منه عز وجل حمله على ارادته تعالى، وأورد على ذلك سؤالاً أجاب عنه على مذهبه في الاعتزال فلا تلتفت إليه، هذا والآيات من قوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً فمنا كان فاسقاً) إلى هنا نزلت في على كرم الله تعالى وجهه. والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لآمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أخرج أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغانى. والواحدى. وابن عدى. وابن مردويه. والخطيب. وابن عساكر من طرق عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة لعل كرم الله تعالى وجهه أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لساننا وأملأ لككتيبة منك فقال على رضى الله تعالى عنه: اسكت فانما أنت فاسق فنزلت (أفمن كان مؤمناً) الخ *

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى نحو ذلك، وأخرج هذا أيضاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنها نزلت في على كرم الله تعالى وجهه. والوليد بن عقبة ولم يذكر ما جرى، وفي رواية أخرى عنه أنها نزلت في على كرم الله تعالى وجهه: ورجل من قریش ولم يسمه، وفي الكشف روى في نزولها أنه شجر بين على رضى

الله تعالى عنه . والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد : اسكت فانك صبي أنا أشب منك شباباً وأجلد منك جلداً وأذرب منك لساناً وأحد منك سناناً وأشجع منك جناهاً وأدلاً منك حشواً في السكتية فقال له على كرم الله تعالى وجهه : اسكت فانك فاسق فزلت ، ولم نره بهذا اللفظ مسنداً ، وقال الحفاجي : قال ابن حجر إنه غلط فاحش فان الوليد لم يكن يوم بدر رجلاً بل كان طفلاً لا يتصور منه حضور بدر وصدوره ما ذكره ونقل الجلال السيوطي عن الشيخ ولي الدين هو غير مستقيم فان الوليد يصغر عن ذلك (وأقول :)

بعض الاخبار تقتضي أنه لم يكن مولوداً يوم بدر أو كان صغيراً جداً ، اخرج أبو داود في السنن من طريق ثابت بن الحجاج عن أبي موسى عبد الله الحمداني عنه أنه قال : لما افتتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم فأتى به اليه عليه الصلاة والسلام وأنا مخفق فلم يمسي من أجل الخلق الا أن ابن عبد البر قال : ان أبا موسى مجهول ، وأيضاً ذكر الزبير وغيره من أهل العلم بالسيرة أن أم كلثوم بنت عقبة لما خرجت مهاجرة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الهدنة سنة سبع خرج أخوها الوليد وعمارة ليرداها ، وهو ظاهر في أنه لم يكن صبياً يوم الفتح إذ من يكون كذلك كيف يكون ممن خرج ليرد أخته قبل الفتح ، وبعض الاخبار تقتضي انه كان رجلاً يوم بدر ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه الاصابة انه قدم في فداء ابن عم ابيه الحرث بن أبي وجرة بن أبي عمرو بن أمية وكان أسر يوم بدر فاقتاده بأربعة آلاف وقال : حكاه أهل المغازي ولم يتعقبه بشيء ، وسوق كلامه ظاهر في ارتضائه ووجه اقتضائه ذلك أن ما تعاطاه من أفعال الرجال دون الصبيان ، وهذا الذي ذكرناه عن ابن حجر يخالف ما ذكره عنه الحفاجي عليه الرحمة مما مر آنفاً ، ولا ينبغي أن يقال : يجوز أن يكون صغيراً ذلك اليوم صغيراً يمكن معه عادة الحضور فحضر وجرى ماجرى لأن وصفه بالفسق بمعنى الكفر والوعيد عليه بما سمعت في الآيات مع كونه دون البلوغ بما لا يكاد يذهب اليه الا من يلتزم ان التكليف بالايمان اذ ذاك كان مشروطاً بالتمييز ، ولا أن يقال : يجوز أن تكون هذه القصة بعد اسلامه وقد أطلق عليه فاسق وهو مسلم في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فقد قال ابن عبد البر : لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن انها نزلت فيه حيث انه عليه السلام بعثه مصداقاً الى بنى المصطلق فعاد وأخبر أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة ولم يكن الامر كذلك لأن الفسق مهنا بمعنى الكفر وهناك ليس كذلك ، ثم اعلم أن القول بانها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه . والوليد لكلام جرى يوم بدر يقتضي أنها مدنية والمختار عند بعضهم خلافه .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) بيان اجمالي لمن قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد ، وكلمة (ثم) لاستبعاد الاعراض عنها عقلاً مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في قول جعفر بن علي الحارثي :

ولا يكشف الغما الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها

والمراد أن ذلك أظلم من كل ظالم (اَنَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) قيل : أي من كل من انصف بالاجرام وكسب الامور المذمومة وان لم يكن بهذه المثابة (مُتَقَمَّرُونَ ۚ) فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرماً من كل جرم ، ففي الجملة اثبات الانتقام منه بطريق برهاني .

وجوز أن يراد بالجرم المعرض المذكور وقد اقيم المظهر مقام المضمير الراجع الى (من) باعتبار معناها وكان الاصل انا منهم منتقمون ليؤذن بان علة الانتقام ارتكاب هذا المعرض مثل هذا الجرم العظيم: وفسر البغوى المجرمين هنا بالمشركين. وقال الطيبي عليه الرحمة بعد حكايته: ولا ريب أن الكلام في ذم المعرضين وهذا الاسلوب أذم لانه يقرر أن الكافر اذا وصف بالظلم والاجرام حمل على نهاية كفره وغاية تمرده ولأن هذه الآية كالحاتمة لاحوال المكذبين القائلين: (أم يقولون افتراه) والتخلص الى قصة التكليم مسلاة لقلب الحبيب عليهما الصلاة والسلام الى آخر ما ذكره فليراجع *

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أى جنس الكتاب (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ) أى شك. وقرأ الحسن (مرية)

بضم الميم (من لقائه) أى لقائك ذلك الجنس على ان لقاء مصدر مضاف الى المفعول وفاعله محذوف وهو ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير المذكور للكتاب المراد به الجنس وايتاء ذلك الجنس باعتبار ايتاء التوراة ولقاؤه باعتبار لقاء القرآن، وهذا كقوله تعالى: (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله سبحانه: (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) وحمل بعضهم (الكتاب) على العهد أى الكتاب المعهود وهو التوراة ولما لم يصح عود الضمير اليه ظاهرا لانه عليه الصلاة والسلام لم ياق عين ذلك الكتاب قيل: الكلام على تقدير مضاف أى لقاء مثله أو على الاستخدام أو أن الضمير راجع الى القرآن المفهوم منه، ولا يخفى ما فى كل من البعد، والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ونظيره، وخلاصة ما تؤذن به الفاء التفريعية ان معرفتك بأن موسى عليه السلام أوتى التوراة ينبغي أن تكون سببا لازالة الريب عنك فى أمر كتابك وبنيه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون فى شك المقصود منه نهى أمته صلى الله تعالى عليه وسلم والتعريض بمن اتصف بذلك، وقيل: المصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف هو ضميره عليه الصلاة والسلام أى من لقائه اياك ووصوله اليك، وفى التعبير باللقاء دون الايتاء من تعظيم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لا يخفى على المتدبر، وقد يقال: إن التعبير به على الوجه السابق مؤذن بالتعظيم أيضا لكن من حيثية أخرى فتدبر *

وقيل: الكتاب التوراة وضمير (لقائه) عائد اليه من غير تقدير مضاف ولا ارتكاب استخدام، ولقاء مصدر مضاف الى مفعوله وفاعله موسى أى من لقاء موسى الكتاب أو مضاف الى فاعله ومفعوله موسى أى من لقاء الكتاب موسى ووصوله اليه، فالقاء مثلها فى قوله:

ليس الجمال بمنزرة فاعلم وان رديت بردا

دخلت على الجملة المعترضة بدل الواو اهتماما بشأنها، وعن الحسن أن ضمير (لقائه) عائد على ما تضمنه الكلام من الشدة والمحنة التى لقي موسى عليه السلام فكأنه قيل: ولقد آتينا موسى هذا العبد الذى أنت بسبيله فلا تتمر أنك تلقى مالقى هو من الشدة والمحنة بالناس، والجملة اعتراضية ولا يخفى بعده، وأبعد منه بمراحل ما قيل: الضمير للملك الموت الذى تقدم ذكره والجملة اعتراضية أيضا، بل ينبغي أن يحل كلام الله تعالى عن مثل هذا التخريج. وأخرج الطبرانى. وابن مردويه. والضياء فى المختارة بسند صحيح عن ابن عباس انه قال فى الآية: أى من لقاء موسى. وأخرج ابن المنذر. وغيره عن مجاهد نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم

عن أبي العالية انه قال كذلك فقل له: أو لقي عليه الصلاة والسلام موسى ؟ قال: نعم ألا ترى الى قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) واراد بذلك لقاءه صلى الله تعالى عليه وسلم اياه ليلة الاسراء كما ذكر في الصحيحين . وغيرهما ، وروى نحو ذلك عن قتادة وجماعة من السلف ، وقاله المبرد حين امتحن الزجاج بهذه الآية ، وكان المراد من قوله تعالى : « فلا تكن في مريّة من لقائه » على هذا وعده تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بلقاء موسى وتكون الآية نازلة قبل الاسراء ، والجملة اعتراضية بالفاء بدل الواو كما سمعت آنفاً وجعلها مفرعة على ما قبلها غير ظاهر ، وبهذا اعترض بعضهم على هذا التفسير ، وبالفرار الى الاعراض سلامة من الاعتراض وكانى بك ترجمته على التفسير الاول من بعض الجهات والله تعالى الموفق (وَجَعَلْنَاهُ) أى الكتاب الذى آتينا به موسى ، وقال قتادة: أى جعلنا موسى عليه السلام (هُدًى) أى هادياً من الضلالة (ابْنِ إِسْرَائِيلَ ٢٣) خصوصاً بالذكر لما أنهم اكثر المنتفعين به ، وقيل : لأنه لم يتعبد بما فى كتابه عليه الصلاة والسلام ولد اسماعيل صلى الله تعالى عليه وسلم .

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً) قال قتادة : رؤساء فى الخير سوى الانبياء عليهم السلام ، وقيل : هم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل (يَهُودُونَ) بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق أو يهودونهم الى ما فيه من دين الله تعالى وشرائعه عز وجل (بِأَمْرِنَا) إياهم بأن يهودوا على أن الامر واحد الاوامر ، وهذا على القول بانهم أنبياء ظاهر ، وأما على القول بانهم ليسوا بانبياء فيجوز أن يكون أمره تعالى إياهم بذلك على حد أمر علماء هذه الأمة بقوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية . وجوز أن يكون الامر واحد الامور والمراد يهودون بتوفيقنا (لَمَّا صَبَرُوا) قال قتادة : على ترك الدنيا ، وجوز غيره أن يكون المراد لما صبروا على مشاق الطاعة ومقاساة الشدائد فى نصره الدين ، و (لما) يحتمل أن تكون هى التى فيها معنى الجزاء نحو لما أكرمتنى أكرمك أى لما صبروا جعلنا أمة ، ويحتمل أن تكون هى التى بمعنى الحين الخالية عن معنى الجزاء ، والظاهر أنها حينئذ ظرف لجعلنا أى جعلناهم أمة حين صبروا ، وجوز أبو البقاء كونها ظرفاً ليهودون .

وقرأ عبد الله . وطالحة . والأعمش . وحمزة . والكسائى . ورويس (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم على أن اللام للتعليل وما مصدرية أى لصبرهم وهو متعلق بجعلنا أو يهودون . وقرأ عبد الله أيضاً (بما) بالباء السببية وما المصدرية أى بسبب صبرهم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) التى فى تضاعيف الكتاب ، وقيل : المراد بها ما يعم الآيات التكوينية ، والجار متعلق بقوله تعالى : (يُوقِنُونَ ٢٤) أى كانوا يوقنون بها لا معانهم فيها النظر لا بنبرها من الامور الباطلة ، وهو تعريض بكفرة أهل مكة ، والجملة معطوفة على (صبروا) فتكون داخلية فى حيز (لما) وجوز أن تكون معطوفة على (جعلنا) وأن تكون فى موضع الحال من ضمير (صبروا) والمراد كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناك أو لنجعلنك هدى لأمتك ولنجعلن منهم أمة يهودون مثل تلك الهداية (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَنْصُلُ) أى يقضى (يَنْهَمُ) قيل : بين الانبياء عليهم السلام وأممهم ،

وقيل : بين المؤمنين والمشركين (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيميز سبحانه بين المحق والمبطل (فَبِمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٢٥) من أمور الدين .

(أَوَلَمْ يَهْدْ لَهُمْ) الهمزة للانكار والواو للعطف على منوى يقتضيه المقام ويناسب المعطوف معنى على ما اختاره غير واحد ، وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى فى أن المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول ، واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ضمير عائد إلى ما فى الذهن ويفسره قوله تعالى :

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ) وكم فى محل نصب باهلكنا أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أو ولم يبين لهم ما لأمهم أو طريق الحق كثرة من أهلكنا أو كثرة اهلاك من أهلكنا من القرون الماضية مثل عاد. وثمود. وقوم لوط، ولا يجوز أن تكون (كم) فاعلا لصدارتها كما نص على ذلك الزجاج حاكيا له عن البصريين ، وقال الفراء : كم فى موضع رفع يهد كأنك قلت : أولم يهد لهم القرون الهالكة فيتمظروا ولا أن يكون محذوفاً لأن الفاعل لا يحذف إلا فى مواضع مخصوصة ليس هذا منها ولا مضمر عائد إلى ما بعد لأنه يلزم عود الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة فى غير محل جوازه ، ولا الجملة نفسها لأنها لا تقع فاعلا على الصحيح الا اذا قصد لفظها نحو تعصم لاله الا الله الدماء والأموال ، وجوز أن يكون الفاعل ضميره تعالى شأنه لسبق ذكره سبحانه فى قوله تعالى : (ان ربك) الخ وأيد بقراءة زيد (نهد لهم) بنون العظمة ، قال الخفاجى : والفعل بكم عن المفعول وهو مضمون الجملة لتضمنه معنى العلم فلا تغفل .

(يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ) أى يمشون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم ، والجملة حال من ضمير (لهم) ، وقيل : من (القرون) ، والمعنى أهلكناهم حال غفاتهم ، وقيل : مستأنفة بيان لوجه هدايتهم .

وقرأ ابن السميعة (يمشون) بالتشديد على أنه تفعيل من المشى للتكثير (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى فيما ذكر من اهلاكنا للامم الحالية العاتية أو فى مساكينهم (لآيَاتٍ) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (أَفَلَا يَسْمَعُونَ ٢٦) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أَوَلَمْ يَرَوْا) الكلام فيه كالكلام فى (أولم يهد) أى أعموا ولم يشاهدوا (أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ) بسوق السحاب الحامل له ، وقيل : نسوق نفس الماء بالسيول ، وقيل : باجرائه فى الانهار ومن العيون (إلى الأرض الجرز) أى التى جرز نباتها أى قطع ما لعدم الماء واما لأنه رعى وأزيل كما فى الكشف . وفى مجمع البيان الأرض الجرز اليابسة التى ليس فيها نبات لا تنقطع الامطار عنها من قولهم : سيف جراز أى لا يبقى شيئاً الاقطعه وناقعة جراز إذا كانت تأكل كل شئ . فلا تبقى شيئاً الاقطعه بفيه ورجل (١) جرور أى أكل ، قال الراجز : خب جرور وإذا جاع بئى . وقال الراغب : الجرز منقطع النبات من أصله وأرض مجروزة أى كل ما عليها ، وفى مثل لا ترضى شائته الا بحرورته أى بالاستئصال ، والجارز الشديد من السعال تصور منه معنى الجرز وهو القطع بالسيف اه ، ويفهم مما قاله أن الجرز يطلق على ما انقطع نباته لكونه ليس

(١) قوله جرور أى أكل قول قال الراغب هو الذى يأكل ما على الخوان اه منه

من شأنه الانبات كالسباخ وهو غير مناسب هنا لقوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ والظاهر أن المراد الارض المتصفة بهذه الصفة أى أرض كانت، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنها قرى بين اليمن والشام .
وأخرج هو وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي شيبه عن ابن عباس أنها أرض باليمن، وإلى عدم التعيين ذهب مجاهد، أخرج عنه جماعة أنه قال: الأرض الجرزهى التى لاتنبث وهى أبين ونحوها من الارض وقرى (الجرز) بسكون الراء، وضمير (به) للباء والكلام على ظاهره عند السلف الصالح وقالت الاشاعرة: المراد فنخرج عنده، والزرع فى الاصل مصدر وعبر به عن المزروع والمراد به ما يخرج بالمطر مطلقا فيشمل الشجر وغيره ولذا قال سبحانه: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ أى من ذلك الزرع ﴿أَنعَامُهُمْ﴾ كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ كالبقول والحبوب التى يقتاتها الانسان، وفى البحر يجوز أن يراد بالزرع النبات المعروف وخص بالذكر تشريفاله ولأنه أعظم ما يقصد من النبات، ويجوز أن يراد به النبات مطلقا، وقدم الانعام لأن انتفاعها مقصور على ذلك والانسان قد يتغذى بغيره ولأن أكلها منه مقدم لأنها تأكله قبل أن يشر ويخرج سنبله، وقيل ليترقى من الأدنى الى الأشرف وهم بنو آدم *

وقرأ أبو حيوة، وأبو بكر فى رواية (يا كل) بالياء التحتية ﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ ۚ﴾ أى ألا يبصرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله عز وجل، وجعلت الفاصلة هنا (يبصرون) لأن ما قبله مرئى وفيما قبله (يسمعون) لأن ما قبله مسموع، وقيل: ترقيا إلى الأعلى فى الاتعاظ مبالغة فى التذكير ورفع العذر *
وقرأ ابن مسعود (تبصرون) بالياء الفوقية ﴿وَيَقُولُونَ﴾ على وجه التكذيب والاستهزاء ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أى الفصل للخصومة بينكم وبيننا، وكأن هذا متعلق بقوله تعالى: (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقيل: أى النصر علينا، أخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم إن لنا يوما يوشك أن نستريح فيه وننتقم فيه فقال المشركون: متى هذا الفتح الخ فنزلت (ويقولون متى هذا الفتح ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ﴾) أى فى أن الله تعالى هو يفصل بين المحقين والمبطلين، وقيل: فى أن الله تعالى ينصركم علينا *
﴿قُلْ﴾ تبكيتم لهم وتحققا للحق ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۚ﴾ (٢٩)
أخرج الفريابي . وابن أبي شيبه . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: يرم الفتح يوم القيامة، وهو كما فى البحر منصوب بلا ينفع، والمراد بالذين كفروا إما أولئك القائلون المستهزون فالأظهار فى مقام الاضمار لتسجيل كفرهم وبيان علة الحكم، وإما ما يعهم وغيرهم وحينئذ يعلم حكم أولئك المستهزين بطريق برهاني، والمراد من قوله تعالى: (ولا هم ينظرون) استمرار النفي، والظاهر أن الجملة عطف على (لا ينفع) الخ والقيد معتبر فيها، وظاهر سؤالهم بقولهم (متى هذا الفتح) يقتضى الجواب بتعيين اليوم المسؤول عنه لأنه لما كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فكأنه قيل لهم: لانتهم مجلوا به ولا تستهزؤا فكا تى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتهم فى ادراك العذاب فلم تنظروا، وهذا قريب من الاسلوب الحكيم *

هذا وتفسير (يوم الفتح) يوم القيامة ظاهر على القول بان المراد بالفتح الفصل للخصومة فقد قال سبحانه: (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) ولا يكاد يتسنى على القول بان المراد به النصر على أولئك القائنين اذا كانوا عانين به النصر والغلبة عليهم في الدنيا كما هو ظاهر مما سمعت عن مجاهد، وعليه قيل: المراد بيوم الفتح يوم بدر، وأخرج ذلك الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها، وقيل: يوم فتح مكة، وحكى ذلك عن الحسن ومجاهد، واستشكل كلا القولين بان قوله تعالى: (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا وإيمانهم) ظاهر في عدم قبول الايمان من الكافر يومئذ مع أنه آمن ناس يوم بدر فقبل منهم وكذا يوم فتح مكة •

وأجيب بأن الموصول على كل منهما عبارة عن المقتولين في ذلك اليوم على الكفر، فعني لا ينفعهم ايمانهم انهم لا إيمان لهم حتى ينفعهم فهو على حد قوله: • على لاجب لا يهدى بمناره • سواء أريد بهم قوم • مخصوصون استهزؤا أم لا وسواء عطف قوله تعالى: (ولاهم ينظرون) على المقيد أو على المجموع فتأمل • وتعقب بان ذلك خلاف الظاهر، وأيضا كون يوم الفتح يوم بدر بعيد عن كون السورة مكية وكذا كونه يوم فتح مكة، ويبعد هذا أيضا قلة المقتولين في ذلك اليوم جدا تدبره

(فاعرض عنهم) ولا نبال بتكذيبهم واستهزائهم، وعن ابن عباس أن ذلك منسوخ بآية السيف، ولا يخفى أنه يحتمل أن المراد الاعراض عن مناظرتهم لعدم نفعها أو تخصيصه بوقت معين فلا يتعين النسخ • (وانتظر) النصر عليهم وهلاكهم (إنهم منتظرون •) قال الجمهور: أي الغاية عليكم كقوله تعالى: (فتربصوا إنا معكم متربصون) وقيل: الاظهر أن يقال: إنهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) الآية، ويقرب منه ما قيل: وانتظر عذابنا لهم انهم منتظرون أي هذا حكمهم وان كانوا لا يشعرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة. وقرأ البيهقي (منتظرون) بفتح الظاء اسم مفعول على معنى أنهم أحقوا أن ينتظروا هلاكهم أو أن الملائكة عليهم السلام ينتظرونه والمراد أنهم هالكون لا محالة هذا •

(ومن باب الإشارة) قوله تعالى: (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) فيه إشارة الى أنه لا ينبغي الالتفات الى الاسباب والاعتماد عليها، وقوله سبحانه: (يدبر الأمر من السماء الى الأرض) فيه إشارة الى أن تدبير العباد عند تدبيره عز وجل لا أثر له فطوبى لمن رزق الرضا بتدبير الله تعالى واستغنى به عن تدبيره (الذى أحسن كل شيء خلقه) فيه ارشاد الى أنه لا ينبغي لأحد أن يستقبح شيئا من المخلوقات، وقد حكى أن نوحا عليه السلام بصق على كلب اجرب فانطق الله تعالى الكلب فقال: يا نوح اعبتني ام عبت خالقى فناح عليه السلام لذلك زمانا طويلا فالاشياء كلها حسنة كل في بابها والتفاوت اضافى، وفي قوله تعالى: (وبدأ خاق الانسان من طين) الى آخر الآية بعد قوله سبحانه: (الذى أحسن) الخ إشارة الى التنقل في اطوار الحسن والمروج في معارجه فكم بين الطين والانسان السميع البصير العالم فان الانسان مشكاة انوار الذات والصفات والطين بالنسبة اليه كلاً شيئاً (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم

وهم لا يستكبرون) اشارة الى حال كاملي الايمان وعلو شأن السجود والتسبيح والتحميد والتواضع لعظمته عز وجل (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) اشارة الى سهرهم في مناجاة محبوبهم وملاحظة جلاله وجماله، وفي قوله: (ومما رزقناهم) أى من المعارف وأنواع الفيوضات (بنفقون) اشارة إلى تكديهم للغير بعد كمالهم في أنفسهم وذكر القوم أن العذاب الاذنى الحرص على الدنيا . والعذاب الاكبر العذاب على ذلك .

وقال بعضهم: الأول التعب في طلب الدنيا والثاني شتات السر ، وقيل : الأول حرمان المعرفة والثاني الاحتجاب عن مشاهدة المعروف، وقيل: الأول الهوان والثاني الخذلان (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فيه اشارة الى ما ينبغي أن يكون المرشد عليه من الأوصاف وهو الصبر على مشاق العبادات وأنواع البليات وحبس النفس عن ملاذ الشهوات والايقان بالآيات فمن يدعى الارشاد وهو غير متصف بما ذكر فهو ضال مضلل (فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) فيه اشارة الى أنه ينبغي الاعراض عن المنكرين المستهزئين بالعارفين والسالكين إذا لم ينجع فيهم الارشاد والنصيحة والى أنهم هالكون لا محالة فان الانكار الذي لا يعذر صاحبه سم قاتل وسهم هدفه المقاتل نعوذ بالله تعالى من الحور بعد الكور بجرمة حبيبه الاكرم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿سورة الاحزاب ٣٣﴾

أخرج البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: نزلت سورة الاحزاب بالمدينة ، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، وهى ثلاث وسبعون آية قال الطبرسى بالاجماع ، وقال الدانى هذا متفق عليه ، وأخرج عبد الرزاق فى المصنف . والطياسى . وسعيد بن منصور . وعبدالله بن أحمد فى زوائد المسند . والنسائى . والحاكم وصححه . والضياء فى المختارة . وآخرون عن زر بن حبیش قال: قال لى أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه كائن (١) تقرأ سورة الاحزاب أو كائن تعدها؟ قلت: ثلاثا وسبعين آية فقال: أقط (٢) لقد رأيتها وانها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فرفع فيما رفع وأراد رضى الله تعالى عنه بذلك النسخ، وأما كون الزيادة كانت فى صحيفة عند عائشة فأكلها الداجن (٣) فوضع الملاحدة وكذبهم فى أن ذلك ضاع بأكل الداجن من غير نسخ كذا فى الكشف . وأخرج أبو عبيد فى الفضائل . وابن الانبارى . وابن مردويه عن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ فى زمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مائتى آية فلما كتب عثمان رضى الله تعالى عنه المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الآن، وهو ظاهر فى الضياع من القرآن، ومقتضى ما سمعت أنه موضوع، والحق أن كل خبر ظاهره ضياع شئ من القرآن اما موضوع أو مؤول. ووجه اتصالها بما قبلها على ما قال الجلال السيوطى تشابه مطلع هذه ومقطع تلك فان تلك ختمت بأمر النبي ﷺ بالاعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم وهذه بدئت بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى اليه والتوكل عليه عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ناداه جل وعلا بوصفه عليه الصلاة

(١) أى لم أهمته (٢) أى أحسب أنه منه (٣) الداجن وكذا الراجح بالراء ما يألّف البيوت ويأنس من شاة وغيرها منه